عن قلبكَ فيما أهلكته ؟!

# عن قلبكَ فيما أهلكته ؟!

قصص

هند محمد

فتنة الحمير - عن قلبك فيما أهلكته، متوالية قصصية

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٠١٥٤ ISBN : 978-977-798-085-2

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار

كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظه للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Tel: 00242216335 - Mob : 00201141824562

Sales Manager Mob : 00201146644959

E-mail: dar_el7elm@hotmail com

info.darel7elm@Gmail com

# الفهرس.....

يوماً سيصرخُ جسدكّ ثائراً متسائلاً
عن قلبك فيما أهلكته ؟!
وسيُجيبكّ الصمتُ المُريب.

# الإهداء

إلى سـبب اسـتفاقة الحـروف اسـتنجادا باللغـة في العـاشرة مـن عُمـري كي أكتـبّ لهـا رسـالتي الأولى.
إلى صرحُ الجمالِ الذي يُلعثمُ كامل أبجديتي .
إلى قِبلة لغتي واتجاه نصوصي.
وإلى كعبة يطوف بِها الإلهامُ العظيم .

إلى أُمي.

# صاحب البستان...

**عن قلبك فيما أهلكته؟**

لمّ أكن أدرك أن بإمكان سؤالاً واحداً أنّ يُثمل النسيان ويجعل الذاكرة تترنحُ يميناً ويساراً إلى أن يُعيدها إلى كل ما قد سلف .

كانّ سؤالٌ بمثابة التعجيزّ الذي لا يقبلُ سوى خضوعك وانكسارك، كأنه سؤال عبثي.. لا إجابة ستُخرجكّ مِنه . كأنه فقط قد قيل كي يُذكرك ماضٍ من ما قد مضى من السنوات.

**واقعاً ،**

لمّ يُهلك قلبيّ شيئاً أو رُبما شيئين ، كأن شيئا قد بُني فوق شيءِ في سنواتِ عديدة حتى أصبح بُنياناً كبيراً مقرهُ القلب لم يُرض تلك العاصفة التي ابتلعته في يومِ وليلة.

لا أعلمُ حقاً أكانّ العجزُ يكمن في اللامقاومة والوقوف أمامّ العاصفة وهي تهدمُ كامل البنيانّ بهدوءِ مُريب ،

أم أن البُنيانّ كانّ قائماً على لا شيءّ من الأساس المتين مما آل إلى عظيم سقوطه.

**كل ما أعلمه حقاً ،**

بـأن البُنيـانّ بـكل قِطعـة منـه قـد سـقط ومـا كان هُنـاك أي رد فعـلِ قـد يُذكر.

لمّ أكـن لأُدرك مـا ذنـب السـنوات التـي قـد تحولـت غبـاراً وعالمـاً مـن الهبـاء هكـذا ، كل مـا أُدركـهُ حقـاً بـأن بضـعَ سـنواتِ مـن العُمـر قـد كُتـب عليهـاّ الانـدراج تحـت قائمـة الـلاشيء سـوى النـدمِ الأليـم.

كنـتُ أُدرك حـقّ الإدراك بـأن رياحنـاً تـأتي بـكل مـا قـد لا تشـتهيه سُـفننا ، لكنهـا لمّ تكـن مجـرد ريـاح ، كانـت عاصفـة قضـت عـلى قلبـينّ في يـومِ و ليلـة وجعلـتّ مـن الواقـعّ حلـماً مُحـال الوقـوع.

كلُ مـا أذكـرهُ مـن تفاصيـلّ تلـك الواقعـة أن القلبـينّ تحطمـوا رغـماً عـن صاحـبِ كل منهـما وأن العـزاءّ قـد أُعلـن عـلى تلـك القصـة المريـرة ، وأن الحـدادّ قـد صـار سـنواتِ مـن الفقـدِ لا تُعـد ، وأن الحـبّ بقـى طريـحَ الأرض مهزومـاً حائـراً.

**كانتّ رّياحنا قاسية بعض الشيء ،**

حتـى أنهـا قـد حطمـتّ ألفـاً مـن الذكريـات الماضيـة وألفـين مـن المُسـتقبل الـذي خططـه القلبـينِ معـاً.

كانـت جميـعِ قوانـين الإنسـانية تقـفُ سـلاحاً مـع ذواتِ الفئـة الضعيفـة مـن الأطفـال والشـيوخ ، لكننـي لم أعـي بـأن تلـك العاصفة لا تخضـعُ لقوانـين الإنسـانية المُوضوعـة ، فقـدّ قتلـت أطفـالا لنـا كُنـا قـد قررنـاً معـاً أسـمائهم قبـل أن تـرى أعينهـم ولـو شـعاعاً خافتـاً

مـن النـور ، وقـد كفنـت أناسـا سـبعينية كانـوا قـد تعاهـدوا منـذ شـبابهم عـلى البقـاءّ الأبـدي.
لا أعـيّ لِـمَ كانـت أحلامُنـا ثقيلـة عـلى قلـب تلـك العاصفـة إلى ذاك الحـد ، ولِـمَ عظيـمُ البقـاء أصبـحّ خيـالاً في غضـونِ جـزءاً مـن الألم ، ولمَ كل مـا قـد أقررنـاه معـاً صـار مـاضيّ مـن النـدم ، و أيـن غـدت صغـيرتي السـتينية تلـك؟
لم أكـن أدرك مـاكان ذنـبّ كل مـا قـد كان حولنـا أمام تلـك العاصفة، كأنهـا لم تكتـف بقلبينـا فقـط فابتلعـت كل مـا يُحيـط بِنا .
أعتقـد بأنـه لا ذنـب لأسـماءِ تلـك الأطفـال التـي اخترناهـا بكامـل الحـب العظيـم ، ولا ذنبـا للطفلـة الأولى التـي كانـت غيرتـك تشـتعلُ منهـا عندمـا أُخـبرك بأنهـا سـتُحبُ مـن قِبـل قلبـي أكـثر مِنـك ،
ولا أعـي مـا ذنـبُ ألـوان جـدرانّ حائـط منـزل قلوبنـا ذاك، و مـا ذنـبُ أحلامنـا كيّ تبقـى أضغاثـا عـلى حـين غفلـة منهـا .
مـا ذنـبّ ثوبـاً مـن الجـمالِ كان سـيتزينُ بـك ؟ و مـا ذنـبُ قلبـيّ الـذي صـار خـواءً بعـدك ؟
ما ذنبّ رسائلي ورسائلك ؟
وماذنبّ كل وعدِ قد مضى وكل حبِ قد انقضى ؟
لا أعـيّ مـا ذنـب قمـرا كان شـاهدُ عـلى ليلنـا ؟ و مـا ذنـبّ كل مـا قـد أصبـح حقـاً لا شيء !
لا أُدرك كيـفّ لأحلامنـا أن يُحققهـا غيرنـا دونّ التشـبثِ بعظيـم رغبـة تحقيقهـا ،لكننـي أعـي بـأن أحـداً مـا سـيُحقق حلـماً كان يكـبرُ

داخـل قلبـي يومـاً بعـد يـوم ،
أصبحـت كصاحـبِ البُسـتان الـذي زرع بقلبـه وسـقى بروحـه حتـى أصبـح يملـكُ أجمـل ورودِ الأرض التـي في يـومِ وليلـة قـد أُخـذت منـه غصبـاً وقهـراً.
لا أدرك مـا شـعورّ ذلـك الحـب الـذي قُتـلّ دون مـؤشراتِ مسـبوقة، ومـا وضـع تلـك الوعـودِ التـي قـد نُحـرت رغـماً عـن انـف كلانـا .
ومـا موقـفّ كل صـورة قـد جمعـتّ بيننـا ، وكل مـكانّ قـد جمعنـا معـاً !
اعتقـدُ بـأن الحـزنّ قـد حوّلهـم إلى قبـورٍ مـن الألم عـلى قصتنـا الماضيـة .
لم أكـنّ لأعـي بأننـي قـد كنـت أعيـشُ سـنواتِ مـن الوهـم سـتنقضي في حـزنِ وليلـة ، وأننـي قـد كنـتُ بطـلاً في الخيـال وعظيـم الأحـلام، وأن سـنوات الحـب العديـدة ليسـتّ مُـبرراً كافيـاً أمـام ريـاحِ الواقـع، وأنني سأكملُ ذاك الطريق بمُفردي.

# وجدتني رمادياً

أتذكر يوماً نُحت في جدار ذاكرتي حد أنني اعتقدُ
بأن لا نسيان سيصيبُه مُطلقاً.

أتذكر عندما أخطأت يوماً بذنبٍ جرتني نفسي الغيرَ سوية إليه، كل ما أتذكره جيداً بأنني كُنت اعتقد بأنني ثملاً حدّ أنني أقمت الذنبّ دونّ صوتاً يسبقه يُخبرني بأنه حراماً لا يجوز.

لكنني أذكرُ جيداً أن ذاك الصوتُ قد تم الإفراج عنه في الحال بعدما انتهيتُ من الذنب ، كان صوتاً ما خُلق بداخلي أخبرني بأنني مُذنبُ وبأنني أخطأت خطئاً ما ،

كان ذاك الصوت يتضخم بداخلي حد أنني ظننته قد استعان بمكبر صوت ما كي يُخيفني .

كان شعوراً ما بالندم بدأ في النمو داخليّ ، كان ينمو بطريقة مُروعة ، بل كان يتضخم !

حتى أنني تذكرتُ حينها أنه ازداد في النمو حتى اكتظت زوائده تلك من عيني على هيئة دموعِ حارِقة .

بقي الندمُ يتساقطُ دمعاً على وجهي ويُحرقه ،

كان يسقط بطريقة ما تُخبرني بأنه يُعاقبني على ما قد صدر مني ، في ذات الوقت الذي كان صوتّ -الحرام- يتغلغل في كل

خليـة في جسـدي كي يوخـز أسـفاً و ندمـاً.

**بقيّت نفسي حبيسة الموقف المُريب ،**

تخـافُ تهـدأُ فتُصـابُ بوخـزِ أعظـم ، و تخـاف تغضـب فتحـترقُ دمعـاً .

**حينها ، أُصبتُ بهالة من الذهول ،**

شـعرتُ بأننـي أملـكُ بداخـليّ روحـين ، روحُ تُذنـبُ ولا تُبـالي ، وأخـرى تصفـعُ الأولى ندمـاً عندمـا تفعـل .

ظننـتُ بـأن جسـدي قـد يحـوي أكـثر مـن روحـاً تتصـارعُ بعضـاً البعـض عنـد كل موقـف وأبقـى أنـا حشـدُ مـن الجمهـور الأصـم.

اعتقدت بأنني جزءان ،

جُزءاً أبيضاً والآخر أسوداً ، إحداهُما سلام والآخر أشبه بـ حرب ،

اعتقـدتُ بأننـي أملـك نفسـين داخـل جسـداً واحـدٍ ، أو رُبمـا أملـك جسـدين داخـل بـشراً واحـدٍ.

لم أكـن أعـي بأننـي إنسـان واحـد بجسـدِ واحـد و نفـس واحـده إلا بعـد أن تسربـت كل دمـوع النـدم تلـك مـن عينـي حتـى جفـت وبـدأ عقـلي في التفكـير المُريـب .

لم أكـن أدرك بـأن نفـسي غـير سـوية للحـد الـذي لا يجعـلُ منهـا بياضـاً ناصِعـا ، ولا مُذنبـة للحـد الـذي يجعـل منهـا سـواداً كاحـلاً.

**وجدتني رمادياً ،**

ظننـتُ بـأن جـزءاً مـن البيـاض قـد اتحـدّ مـع آخـر مـن السـواد كيّ تُخلـق نفـسيّ .

أدركت بأنني رمادياً دُفن داخل جسدِ في ذاك اليوم .
كان شيئاً ما بداخلي يُخبرني بأنني مزيجاً من الحق والباطل ،
كأنني رهبة وسكينة ، ثباتِ وتزعزع ، شيءُ و نقيضه الآخر تماماً.
كنت أعي بأنني أُحب الله حُباً عظيماً ، لكنني لا أدرك لمّ بعضُ من ما أُساقُ إليه كانّ يجعلني أرتاب مني .
كنت أعلم بأن حبي لله لا يحمل ذرة من شك في قلبي ، لكنني أذكرُ عِندما تثاقلتّ روحيّ ركعتي الفجرُ لأُحدث نفسي بأنني صُبحاً سأُصليها.
لم أكنُ أدرك كيف لذات النفس التي تؤمُرني أن أقرأ القرآن تأمُرني أن أهجره في يوم آخر.
وكيفّ أن لروحِ كانت صباحاً تُرددُ الأذكار ، ليلاً تتمتم بالأُغنيات.
وكيفّ أن لِسان يطيب بذِكره ، يتفننُ بنميمة الغير .
أدركت بأن رماديتيّ طاغية حد أن فعلاً ما أفعله يُخبرني بأنني على حق ، وآخرُ يُخبرني بأنني الباطلُ بذاتِه.
أدركتُ بأنني قد أُذنب في الدقيقة التي تليّ الحقُ تماماً ، و قد أُحسنُ في الساعة التي تليّ الإساءة تماماً .
حتى أنني أذكرُ عندما حدثني أبي في السابعة من عُمري عن بعض من جمال الله ،
شيء عظيم ما بداخلي زُرع تِجاهه ، كان صوت ما يُخبرني بأنني لن أعصيه قط.
لكنني أيضا أذكرُ اليوم الذي يليه عندما سألني عن صلاة

العـصر ، فـ كذبـتُ وادعيـت أننـي قـد أقمتهـا.
رُبمـا منـذ ذاك اليـومُ و رماديتـي بـدأت في النمـو والتضخـم كـما جسـدي.
**لكنّ كل ما أُعرفه حقاً الآن ، بأنني أحب الله ،**
رُبما بعض مني كانّ يُخبركم بأنني لا أفعل .
لكـن قسـماً حتـى وإن نسـيتُ ركعـةً وأقمـت خطئـاً واقترفـتُ ذنبـاً كان كل مـا بداخـلي يُحبـه
حتـى وأن تضخمـتّ رماديـة حيـاتي شـيئاً فـ شيء ، أحبـه ولا أُدرك شـيئاً أكـثر مـن إدراكي بـذاك الحـب.

# الزهايمر الأبدي...

**مرحباً ، أنا عظيم النسيان والزهايمرّ الأبدي.**

هكذا كانت تُلقبني دوماً أُمي منذ العاشرة من عمري عندما طلبتني كي أحضر لها كوب من الماء البارد ، وما كان مني سوى أن وقفت حائراً في منتصف المطبخ مستنجداً بـ كل خليه في رأسي كي تذكرني لِمّ أتيت إلى هُنا ؟ إلى أن انتصر النسيان وعدت إلى الغُرفة دون الماء فارغاً من كل شيء سوى مِنه .

حتى أبي قد أيدّ أُمي و أطلق علي ذلك اللقب عندما سألني يوماً عنّ مفتاح المنزل الذي أعطاه لي قبل ساعة الذي -زهايمراً مني-نسيتُ أين وضعتهُ و رحلت .

اذكرُ جيداً كم كنت طالباً فاشلا في نظرِ مُعلم الحفظ الذي استدعى يوماً والدي كيّ يتذمرّ مني و يُخبرهُ بأنني افشلُ أقراني و أن جميعهم قد حفظوا النص عن ظهر قلب ، سواي.

اذكرُ كم كنتّ أُعاني من مشكله حفظ النصوصِ والأفكار، كنت أجاهد ألفاً دون جدوى ، أحفظ كلمه لتطيرُ تلك التي حفظتها مسبقاً ،

**كنت فاشلاً في الحفظ و سيداً في النسيان العظيم.**

كنتُ زهايمراً يسيرُ على ساقينّ في نظر الجميع ،
حتى أننيأتذكر جيداً عندما حزنت مني أُختي حينما نسيت يوم ميلادها الثامنّ عشر ،و لم أتذكره حتى بعدما سألتني -تاريخ اليوم بماذا يُذكرك ؟-.
أتذكر جيداً عندما كنتُ أضع منبها في السابعة مساءً كيّ يُذكرني بالموعد اللازم لتجرع الدواء ، أذكرُ أنني حينما دق جرس المنبه تعجبتُ حقاً لمّ أنا قد وضعت ذاك المنبه في تلك الساعة التي أخبرتني خلايا عقلي بأنها لا تخضعُ لالتزاماتِ ولا تُقيدُ بمواعيد.
كنتُ في اليوم الذي يفتحُ الله على عقلي فيه و أتذكر دوائي ؟ أتجرعه مرتين لكوني نسيتّ أنني قد تجرعته في المرة الأولى .
اذكرُ مرة عندما أبكتني معدتي مغصاً بعدما تذوقتُ ملعقة واحدة من الحساء الذي وضعتُ الملحُ له مرتين فصار مالحاً كالبحر.
ولا أنسى عندما كنت أقرأ لأمارس هوايتي كان المعتاد مني أن أنسي كل كلمة قد كانت بالصفحة السابقة عندما أقلب إلي الصفحة التي تليها .
كُنت معتاداً على ذاك النسيانُ حتى تقبلته كجزء لا ينفصِل عني ، وكنت دوماً لا أُجيدُ حفظ الأرقام ولا اكترثُ للتواريخ ولا اهتمُ بالتفاصيل السقيمة.
أتذكر جيداً أنني كنت أرى أن هذا هو عين الصواب ، وأن عقلي أعظم من أن يُحشى بتفاصيل مُثقلة و تواريخِ مجهدة وكلماتِ

مثقوبة لا داعي لها .
اعتقدتهُ سيصيرَ جريدة مُتعبه من حشو العباراتِ والأرقام والأفكارّ التي واقعاً لست بحاجة لها.
لكنّ المدهش والعجيبُ حقاً؟
لا أعي لماذا أتذكرك كلك بكل تفاصيلك التي تستحق والتي لا تستحق ؟
لا أُدرك متى حفظت كل تلك التفاصيل المتعلقة بك ومتى هجرني عظيم نسياني ومتى اكترث عقلي لبسائط الأمور ومتى شُفيت من هذا الزهايمر؟
نسيان آخر أصابني عندماً حاولت فقط أن أتذكر متى نحتتُ كل تلك الأمور في عقلي و متى اكترثت هكذا ؟
المخيفُ أكثر ؟
أنني أتذكرُ ملامحك بشده، حتى أنني حفظت أن حاجبك الأيمن يعلو الأيسر بقليل ، و أن شامة كبيرة تبدو أسفل أنفك ، وأن ثلاث أخريات تتوسط ملامح وجهك .
**أتذكر يناير الذي عرفتني به ،**
وعينيك الجميلتين ، وثلاث شامات وجهك ،
وألوانك الأربعة المفضلة ، وخمس قمصانِ ترتديها ،
وستُ ساعات نومك ، وأرقام هاتفك السبعة ،
وثمانِ كلماتِ مفضله لك ، ومزاياك التسعة ،
وأسبابي العشرة التي جعلتني أُحبك .

هـذا لا شيء أمـام أننـي أتذكـر تاريـخُ معرفتـي بـك ، و تاريـخ لقائنـا الأول ، وتاريـخ -أحبـك-الأولى ، وتاريـخ الاكـتراث الأول .
وأيضـا قسـما لا شيء أمـام أننـي لا أنـسى أن أميـز بـين ضحكاتـك الخمـس ، ضحكـة الخجـل والخـوف والحـب والسـعادة والألم.
وربمـا لا شيء أمـام أننـي أتذكـر تفاصيـل أحلامـي الخمـس التـي قـد زُرتنـي بهـا، و تفاصيـل ألـوان لوحاتـك الأربعـة التـي تعجبـك، وتفاصيـل كلـمات أكـثر ثـلاث قصائـد إلهامـا لـك ، وتفاصيـل أزرار أكـثر قميصـين ترتديهـما ، وتفاصيـل ملامـح وجهـك الوحيـد .
و بالطبـع لا أنـسى ثلاثمائـة وخمـس وأربعـون يومـاً مـن الحـب جمعـوا بيننـا ،
وخمس وعشرون صورة جمعتنا سوياً ،
وعشر أماكن التقينا بهم ،
وبحرِ واحد نعشقه.

**أتذكر بعضك قبل كلك ،**
**أتذكرك جزءاً جزءاً ،**
**ناهيك عن أصغر الصغائر التي لا تُنسى.**

رُبمـا قـد كان عقـلي يختـزنُ طاقتِـه ويخبـئ قدرتـه العظيمـة في الحفـظ كيّ يحفظـك جـزءاً جـزءاً ولا ينـسى أقـل التفاصيـل.
واقعاً ؟
لا أدري مـا كان ذنـبُ قصائـد الحفـظ وتاريـخ ميـلاد أختـي ومنبـه

الـدواء وحسـاء الملـح الـذي أصابنـي مغصـاً.
لا أدرك مـن كان يقـف أمـام الثلاجـة ليعـصرُ خلايـا دماغـه كي تُذكـره بأنـه جـاء مـن أجـل المـاء ،
ولا أعلم أين تلك المفاتيح الضائعة حقاً ..

# القشة التي لا تخضعُ للإستسلام...

كنتُ أُدركُ ألفاً بأنني أُخوض في عالم من اللاشيء يؤول إلى كل ما قد يستنفذني جزءاً جزءاً رغماً عني.

كنت أعي بأنني أسيرُ مُخالفة للتيارِ والواقع ،

كنتُ كالقشة التي لا تخضعُ للاستسلام ، تلك القشة التي كانت تنجرفُ هُنا وتُؤخذُ هُناك لكنها تُقاوم ، تُقاومُ عظيم رياحّ الواقع وتدّعي أنها لا تُبالي.

كنتُ تلك القشة التي أبت أن تخضع لـ الواقع الذي رغماً عنها سيُقيدُها كي لا تصنع إلا عُشاً.

كانت كل أفكاري و معتقداتي لا تعرفُ لِما أفعله طريق ،

كان العقلُ خصماً يُصارعني بكل ما يملكُ من منطق ،

كانت تلافيفه تلتف وتُحيطني كيّ تُقيدني وتجد مني عظيم الانصياع،

لكنني أتذكر بأنني كنت أقاوِمه حد أن أقدام كامل رغبتي

ومشـاعري كانـت تتخبـطُ يمينـاً ويسـاراً معلنـة عظيـم مُقاومتهـا لتلـك التلافيـف .
كُنت أعي حقاً بأنني أُصارع ،
أُصـارعُ حـد انـه تهشـيمُ أضلعـي و مشـاعري قـد تكـون هـي أهـونُ النتائـج ، كنـت أرى بأنهـا حـربٌ ، طـرفُ منهـا يملـك العقـل المنطـق والبرهـان والأفـكار والظنـون وطـرف يملـك صـوت القلـبِ فقـط.
كنت أُدركّ بأنني أخوض ،
أخوضُ حد انه لا نتيجة متوقعة لنهاية هذا المُنعطف .
كان شيءُ مـا بداخـلي يُخـبرني بـأن نهايـة ذاك المنعطـف قـد لا يكـونُ سـوى هاويـة تـؤول بي إلى حيـثُ لا شيء سـوى النـدم المُريـب.
كنـتُ أعلـم بـأن لا عقـلاً يقبـلُ الخـوضّ في كل مـا لا تمِلـك لـه دليـل، كالخـوضِ في مشـاعرِ و قلـوب!
لكننـي رغـماً عـن عقـلي وواقعـي ؛ كنـت أخـوض مـع كامـل العلـم والإدراك المبـين بأننـي أخـوض.
كنتُ أعي بأنني قد لا أكون شيئاً يُذكرِ بداخلك ،
لكنّ شيئاً ما بداخلي كان يأبى الانصياع للمنطق والعُرف المقيت،
كنت أدرك بأنني لم أُخلق للتشبثُ بما قد تشبثّ به الجميع .
كان صـوت مـا بداخـلي يُخـبرني بأننـي قـد أكـون سراب ، أو رُبمـا قـد لا أصـل بداخلـك إلى شرفِ الـسراب ،
قد أكون عالم من اللاشيء حقاً.
كنت أعي بأن موقعي قد لا يكونُ مركزاً في منتصف القلب ،

لا بـل كنـت أدرك بـأن قدمـاي قـد لا تمـس حـدود أطـراف قلبـك الخارجيــة ..

كنت أُدرك بأنني قد أكون أحد العابرين ،

قـد أكـون سـطرك الركيـك في نـصِ عظيـم، لا بـل قـد أكـون العنـوان المُبتـذل لـذاك النـص ..

كنت أعلم بأنني قد أكون صوت جرس الكنيسة لـ قلبك المؤمن، أو قد أكون ترنيمة ما نُحت في ذاكِرتك مِنها سوى اللاشيء.

كان شـيئاً يُخـبرني بأننـي قـد أكـون ذاكـرة الثالثـة مـن عُمـرك ، عـالمُ مـن الضبـاب المُشـوش القديـم.

قـد أكـون فقـره -هـل تعلـم- في طابـورك الصباحـي ، أو قـد أكـون كلمـة مُديـر المدرسـة في حفـل حياتـك.

كنت أدرك بأنني قد أكون هامشاً ، قد أكون جانباً مبتذلاً ضائعاً.

كان عقــلي يُخــبرني بأننــي قــد أكــون وردتــك الذابلــة في كتابــك المُهمـش داخـل صندوقـك المهجـور في عالمـك المُبتـذل ، قـد أكـون لاشيءُ حقــاً بهــذه الدرجــة.

لكنني أبيت الاستسلام ،

أبيت الانصياع والانحصار داخل العش الصغير .

كان دافِعــاً مـا يُخـبرني بـأن أخـوض بداخلـك ، بـأن أعيـش حـرب الواقـع التـي قـد تـؤول إليـك.

كان عالمي يأبي التقيد لصوت العقل المُريب .

كنتُ أُحارِبه فقط كي أخوض ولا أُقاومُ شيئاً ما لك بداخلي.

كان الأمرُ أشبه بالركض خلف عصفور صغير ،
أو كالبحث عن إبرة في غرفة كبيرة .

كان الأمـرُ عظيـماً كالخـوضِ في عـالم مـن الـلاشيء الـذي قـد يـؤول إلى كل شيء حقـاً.

# الخلاص الجميل...

**مُرعبٌ كثيراً عندما يُنقِذك موقِف،**

عندما تصفعك كلمة وتلدغك نظرة ، عندما يُنجيكّ شعورك بالوحدة والألم ، عندما ينصرك إحساسك بالضعف والتهميش عندما يُعلن جميعك الوقوف بالصفِ معك ، فيقف جسدك وقلبك وحزنك وحرارة دموعك ولعثمة أهاتك حِداداً على حالِك ، ثلاثاً على ألمك ، وحزناً على حُزنك.

حتى تُصفعُ من القلبِ قبل العقل ، ويفيق بعد ما كان له أن يفيقُ حقا مُسبقاً ، فتنتحرُ مشاعِره ويشتدُ عودّهُ ، فـ يقسو كثيراً ويُقتلُ حنينهّ أكثر ، حتى يأمُرك ويُطاع بالرغبة واليقينِ العظيم ، حتى تفيق.

حينها ؟

يُقتلُ كاملُ الإعجاب والحبُ العظيم .

بل يُنحرُ بعد صرخة القلب بـ -الله أكبر- للتخلُص منه ، يُقضى عليه في وقتِ لا يُذكر ، في دقيقه أو رُبما في وهلة ، في غمضه عينِ أغمضتها حملتك للخلاصِ الجميل.

مُدهشه حقاً الطريقة التي يُقتلُ بِها عظيم شغفنا وكامل عشقنا .

نشعرُ لبرهة من الزمن حينها بأننا قد كبرنا أعواما وأعوام ،

بأنه قد اكتفينا حزناً وألما ، بأنه قد صُفعنا بما يكفي لكي نفيقُ ونستجيب ، بأنه قد خارت قوانا وعظيمِ طاقاتِنا مقابل اللاشيء ، بأنه قد وهنت أطراف مشاعِرنا وقوفاً على هاوية قلوبهم ، بأننا قد مللّنا جلوساً على رصيف تهميشهم، بأنه قد جمدتنا صقيعه شتاء مشاعرهم وحطمتنا قسوة قلوبهم وأنه حقاً لا داعي لهم أكثر .

عظيمُ حقاً عندما تُنجينا مواقِفنا وأيامنا منهم ، عندما ننضجُ حينما يحينُ لنا ذلك ، عندما نقتِل مشاعرُ خُلقت لكل من لا يستحِقُها ، عندما نبتعدُ أميالا ونبتسمُ سذاجة على سذاجة ما كُنا بِه ، عندما نقتُل نبضاً خلقُ عبثاً وجهلاً وتسرُعاً .

عندما نفيقُ ونقتلُ أخطاء قلوبِنا حقاً.

# النظرة الاولى...

**لرُبما اعتقدت مراراً بأن كلامِ الكُتابِ والشُعراء حِبرُ على ورق ولا يمتُ لذلك الواقع بصِله.**

أتذكر جيداً حين كُنت اسخرُ بسذاجة بلهاء على شاعِرِ يُقسم طوال قصيدتهِ بأنه قد هوى في يمّ من العشق منذ النظرة الأولي على ذاك الكاتب التي قد شهدت أوراق كِتابه قصة انجراف القلب وميولِه منذُ تلك النظرة الأولى ، وعلى كل من اعتقدّ بأن النظرةالأولى قد فعلت ألفا من الحب وآسرَتهُ.

كنتُ أعيبُ عليهم وأظنه كذباً ، شيئاً لا واقع له ، أو رُبما وهما..

حتى بُليتُ بذاك العيبِ وذُهلت ،

حتى أعدت قراءة ما قد كُنت اسخرُ مِنه سابقاً بشغفِ عظيم،

بحبٍ ، برهبة ، بأملٍ ، وببسمة لا سابقّ لها.

لرُبما ظننت كثيراً بأنني المالك الأول والوحيدُ لقلبي ، صاحبِ الشأن والقوة به ، المُتحكمُ العظيم حقاً ،

حتى رُهِن ذاك القلب وأُسرت ، حتى اعتقدت بأني هويت عشقا في ذات اليمِ الذي لا أرجو الخلاص مِنه حقا .

شيءُ لا مُسمى له قريب حقاً من اللاواقعيه ،

كيفّ لشخصِ أن ينجرف لآخر من أول نظرة ؟ من أول كلمة ؟ أو رُبما من أول لقاء ؟

كيـف تخضـعُ تلـك المشـاعرُ والنبضـات وتنجـرفُ تلـك الأفـكار والمعتقـداتّ وتنهـزم تلـك الهواجـس والكلـماتّ و يأخـذك الواقـع إلى اللاواقـعُ وأنـت مُعجـب بهـذا كلـه ، مبتسـمُ ، واقـفُ صلبـاً ، يُتمتِمُ عقلك قبل قلبك/اللهم لا خلاصّ.
كيفّ لنظرته تلك أن تُسمعك صوت قلبك لأول مرة ؟
رُبما قد أحببت مِراراً و عشقت تكراراً وسمعته ألفا ،
لكنـك حينهـا حقـاً تشـعرُ بأنـك تسـمعه للمـرة الأولى ، حينهـا فقـط تُـدركُ بأنـه صـوتِ لا سـابق لـه ولم يُسـمع مـن قبـل ،

صـوتُ مختلـفُ قـد سـمعته وشـعور مختلـفُ قـد شـعرت بـه و تجـددٍ مختلـفٌ قـد أصبـت بـه ، حتـى تنجـرفُ إلى عـالمُ مـن الاختـلافِ والـلا تشـابُه العظيـم.

كيـفّ يجعلـك ذاك الشـعور معتقـداً بأنـك قد كُنـت إنسـانا كالحجر، كالصلـب ، أو رُبمـا كالجـماد الـذي أفـاق لوهلـة ، الـذي اكتشـفّ صدفـةً بأنـه يملـكُ قلبـاً ينبـضُ و قـد يعشـقُ في يـومِ مـا ؟
كيـف لنظرتـه تلـك أن تذكـرك بأنـك قـد خُلقـت بقلـبِ مهمـلُ يُركـن أيـسرك ؟
كيـف تجعلـكَ تلـك المشـاعرِ شـخصاً جديـداً ، ذا الأفـكار والظنـون والمعتقـدات التـي تختلـفُ كثـيراً عـن ذي قبـل ؟
كيـفّ يتولـدُ شـعورِ بالداخـلِ لا معنـى لـه ، كـ شيءُ أشـبهُ بالثبـات

والتزعـزعِ ، كـ اليقـينِ العظيـم و الشـك المُريـب ، كـ الأمـان والرهبة في الوقـت ذاتِـه ، كـ الشـعورِ الـذي لا يوصـف سـوى بأنـه أعظـم شـعورِ قـد خُلِـق بالداخـل .

كيـفّ نجِـدُ خلاصـاً مـن ذاك الـذي لا نرجـو الخـلاص مِنـه ؟ مـن ذاك الانجـرافِ والتقـرب ؟ مـن الهزيمـة و الخضـوع ؟ أيـن الخـلاصِ مـن الرغبـة في اللامقاومـه و الاستسـلامِ العظيـم ؟

لا أعلم حقاً.

# حقا يحبك؟...

**أتظن بأن ذاك الذي يسلب جميعُ قواك ويستنفذُ أعظم**
طاقاتك ويُشعركّ بمدى ضعفك و هوانك ، حتى تخورُ
أرضا وتبكي ألما وتحزن ألفاً ، حقاً يُحبك ؟

أتعتقد بأن من يُقسمُ دوماً بأنه يُحبكّ حدّ الذي لا حد له وفي الوقت ذاتِه يدفعكّ إلى هاوية الحُزن والألم الشديد ،
حقاً يفعل ؟.

حسناً،أتعتقد بأن ذاك الذي يولدُ بداخلك نوباتِ من الشعورِ المُريب وأكواما من التساؤلات العظيمة التي جميعها تحمِلكُ إلى ذاك السؤال/ أيحبني أم لا ؟

ذاك الذي يدفعكّ إلى الحافةالحادة بداخِلك ، تلك التي تقف حينها عليها بأطراف مشاعِرك ألماً ، فيتصارعُ الداخِلُ مع الداخِلُ، حتى تُهزم ، وتصرخُ ألفا ،

**حقاً يُحبك ؟**

أتظن أنه عندما تُركنُ على رف حياتُه جانباً ككتابٍ مهجورِ على رف يُفتح وقت ما يحين له الزمان أن يُفتح و غلقّ باقي تلك الأيام ،

**انه حقاً يُحبك ؟**

أتعتقـد بأنـك عـلى صـوابِ عندمـا تقـضي أيـام الربيـعِ مـن عمـرك بقلـبِ جـافِ كالصيـف مـع مـن يملـك صقيـع الشـتاء بمشـاعره ؟
أتعتقـد أنـك محـقٌ حـين تبـكي ليـالِ العمـر التـي لا يعلـمُ بألمهـا غـير اللـه ، حتـى تحـزن تلـك الوسـادة و تُبـالي عـلى حالـك المريـر بينـما لا يُبـالى هـو ؟
أتظـن انـك عـلى صـواب عندمـا تبقـى مـع مـن يُحزنـك و يسـيرُ ولا يُبـالي ، فيشـعرُ الجميـع بألمـك سـواه ، و يبقـى الجميـعُ بجانبـك سـواه ، و يبـكي الجميـع عـلى حالـك سـواه !
فلتفيقُ لبرهة..
اعتقـدُ بـأن ضوضـاء مشـاعِرُ الداخـل منـك و فوضويـه اللاجـدوى بداخِلـك جعلتـك تعتقـد بأنـه حقـاً يُحبـك ، و الحـزنُ حزناً سـينقضي.
لرُبمـا أظـن بـأن عينيـك قـدُ أغمضـت بكامـل رغبـه منـك ، و سرتُ مكبـلاً خلـف قلبـكّ الـذي سـيُحطمكّ ألمـاً أن اتبعتـهُ بعـد كل مـا قـد قيـل !
اعتقـدُ بـأن شـعور الألم عـلى ذاتـك الـذي تشـعر بـه الآن حقـاً سـينقضي إنأفقـت قليـلاً و ابتعـدت عـن ذاك الـذي يجول بهواجسـك الآن !
أظـن بأنـه أن كان حقـاً يُحبـك و يسـتحقُ أكـوام تلـك المشـاعر التـي بداخلـك لمـا كان سـيجول بهاجسـك هكـذا..
ابتعد عنهُ و كفى .

# طفولة لم تعاش...

يبدو بأن طفولة قضيناها بتفاصيلها العظيمة وبساطتها الجميلة، أصبحت لا تعجب أطفال الآن.

أعتقد بأن تلك الأرجوحة قد باتت لا تُرضي طفولتهم ورحيقِ عمرهم.

لرُبما انتهى زمن الطفولة تلك ،

تلك التي تطير في سمائها طائرة ورقيةّ يحمِلها طفلُ يطيرُ قلبه معها فرحاً ، التي يسيرُ على أرضها بائعُ للحلوى الجميلة فتسيرُ سيقان الأطفال معها ، التي تتزينُ بأرجوحاتِ كثيرة ومحظوظ من قد حان دورِه ،

تلك التي تمتلئ بمحالِ الدُمى والكُرات الكثيرة التي يصبحُ اليوم عيداً عندما يُؤخذُ الطِفلُ إليها.

أجهل أين باتت تلك الطفولة ، وماذا أصاب أطفال الحاضر ؟

فأرجوحة الماضي صارتّ تحنِ إلى صوتِ الأطفال وضحكاتهم ، تبكيّ على ذاك الهجر المرير .

تلك الطائرة الورقية قد أصابها عجزُ من شِدة الحنين لكِف صغيرِ يحمِلها و يطيرُ فرحاً معها.

أعتقد أن الحلوى قد صارت علقما بعدما هجروها صغارنا ، قد

حزنـت كثـيراً عـلى حالِهـا،
وأظـن بـأن الدُمـى قـد حُنطـتّ ولا تجـدُ مـن يسـعدُ بِهـا ويعطيهـا أسـماءً مـن شِـدة الحـبِ لهـا .
لرُبمـا ظننـتُ بـأن الطفولـة قـد تحولـتّ إلى جهـازاً صغـيراً ، أو رُبمـا هاتفـاً أكـبرُ مـن حجـم حامِلـه .
قـد تحولـتّ إلى طفولـة إلكترونيـة ، ألعابـا مُحنطـه ودُمـى وهميـهُ وعـالمُ مـن الـلاشيء .
أصبحـت فـترهُ الطفولـة سراب ، وهـمُ ، ضيـاعُ مريـرُ ولا شيءُ سـوى ذلـك.
أسـفي حقـاً عـلى حالكـم وحـال تلـك الطفولـة التـي لم تعيشـونها بعـد.

# صراع الداخل منك...

**مؤسِفٌ حقاً أن يتصارعُ داخِلك مع داخِلك ،**

أن ينموا شعوران متناقِضان ، كأن أحداهما أبيضاً و الآخر أسودا ، أن تقف في منتصفِ الطرقاتِ والأزِقه ؛ حيث لا تُدركُ أخطوة للأمام تسير أم للخلف تخطوها ؟

مُحـزِن أن تنمـو تِلـك التناقضـاتِ بداخِلـك إلى أن تتضخـم ، فـ تشـعُر بضوضـاء داخِلـك و صراخِـه ، تُشـعرِ ببـثِ وضجيـجِ يـكادُ يُمـزِق روحـكّ غضبـاً ، تشـعرُ بـ حـيرة تغلبـك ، تنمـو حقـاً وتهزمـك ، تنتصرُ عليـك إلى أن يـصرخُ أكملـك ؛ مـاذا أفعـل ؟

مُحـزنِ أنـه عـلى الرغـم مـن عمـق تلـك الصرخـة المبكيـة وذاك التسـاؤل العظيـم ؛ انـه لا جيـمُ لـذاك السـؤال سـيتولدُ بداخِلـك ، لا شـعوراً سـينتصرُ عـلى شـعور و يسـلُبك مـن تلـك الحـيرة ، لا أبيضاً سيسـودّ ولا أسـوداً سـينمحيّ ، سـتبقى حائـراً واقفـاً عـلى أطـراف تلـك المشـاعرِ ترجـو مـن اللـه الخـلاص العظيـم .

المُحـزنُ حقـاً حينهـا ، بأنـك سـتصِلُ إلى منحـدراً قـدّ يُأخـذك إلى حيـث لا تعلـم ، إلى حيـثُ أن تسـألُ نفسـك ألفـا/ لِـمَ أُقـاوِم ؟ ولِمَ لمْ استسـلم ؟

حينها ستحمِلكّ جميع تساؤلاتِك إلى السؤال ذا الاهميه الكُبرى و سيترددُ بداخِلك كثيراً إلى أن يركنُ عقلك جانباً مُعلنا هزيمته المطلقة وستُصرِخ بِه/ مادمت أحبه ؟ لِمَ أُقاوِم؟
لِمَ أحبه كثيراً هكذاً وأتفننُ بإخفاء ذاك الحُب ؟
لمَ أرىّ وجودهّ نعيمُ وحبهُ ذنباً لا يُغفر ؟
لِمَ أرغب حقاً بوجودِه بالجانب هُنا وأبتعدُ عنه بكامِل رغبتي؟
لمَ أُريد حديثهُ وكأنه مطلبُ أساسي بالنسبة إلي ولمّ لا أحادِثه ؟
لِمَ يتوسطُ قلبيّ هكذا وفي الوقت ذاته أدعيّ انه شخص عادي؟
لمَ بقدرِ رغبتي بِه أتجاوزهُ بهدوءِ مُريب ؟
لمَ تصرخُ عيني ندماً بعدما أجبُرها على عدم التحديق به ؟
ولمَ أحدق به ألفاً عندما أدرك بأنه لن يُدركُني ، وأدعي كامل اللامبالاة أمامه ؟
لمَ أشعرُ بأنني لا أجيدُ شيئاً سوى أن أحبه ، وأقاوِمه ؟
لِمَ أحبه وأخافه ؟
آلاف لِمَ ستجرُفك إلى دوامة من الهزيمة التي لمُ يُسبقُ وانجرفتُ إليها ،
سيحترقُ قلبكّ و ستبكي روحك أملاً في العثور عن جواباً واحدا ،
حلاً بسيطاً ، أو رُبما دليلًا يُخرجك من ذاك المأزق .
المُبكي حقاً حينها ؟
أنه وإن حاولت البحثّ كثيراً عن جواباً يُرضيّ عقلكّ وقلبكّ معا

لـن تجـدِه ،
رُبما ستجدُ جواباً يُرضي إحداهما على حسابِ الأخر .
سـينتصرُ شيء عـلى شيء ، أبيـض أو أسـود ، حيـثُ لا وجـودٌ لرمـاديّ هُنـا ،
إما النصرُ أو الهزيمة ، إما البقاءُ أو الرحيل.
إمـا سـينتصر قلبـك و سـتُحبه بكامـلِ جوارِحـك حـدّ الهيـام الـذي لا حـدّ لـه ،
و إمـا سـتبتعدُ ألافـاً مـن المسـافات والطرقـات وسـيكون حينهـا العقـلُ مسـيطراً ..

# نحن...

**نحنُ من لا يفهمنا سِوانا ،**

نسيرُ بتخبطٍ دوماً وتأخذنا أيامُنا إلى حيثُ ما شاءت هيّ، تحمِلُنا إلى أين ما أرادت ، ولا يسعنا سوى أن ننجرفُ معها بهدوءِ مُريب ، أن نتركَ المقاومة جانباً ، أن نرفعُ راية الاستسلامِ لها مُعلنين أنها وإن أخذتنا إلى هلاكِ البلادِ لنّ نُبالي وسننتصر.

نحنُ تِلك الأناس ، من تُقامُ دوماً بداخِلهم مئات الحروب المريبة ، تشيعُ ألاف الصراعات المبكية ، تحترق نفوسِهم ، تهزم أرواحهم ، تتحطم قلوبهم ، حتى يعتقدون بأنهم صاروا رمادّ ، أشلاء ، أو رُبما أصبحوا بقايا ،

ما يُهم حقاً حينها ؟

أنه بقدرِ حروب وصراعات الباطِن منهم ، فإن الظاهر منهم عالمُ من السلام ، من الهدوء ، من اليقين ، أو رُبما من الرِضا التام عن كل ما يحدثُ حقاً.

نحنُ من نملِكُ تلك الرغبة العظيمة ، تلك القدرة الجبارة بإخفاء ما يُمكنُ إخفاءه ، و إظهار ما نودُ فقط بيانِه.

نحنُ هؤلاء البشر ،

من أقمنا هُدنه مع ذواتنا عندماّ هُزمنا حيناً وصفعتنا الحياة

يوماً بعد يوم ، فـ اكتفينا بالسلامّ ، بالعزلة ، بالبقاء جانباً والاقتراب وقت ما يحينُ الاقتراب .

من نقومُ بكلِ شيءِ على أكمل وجه ،

فـ عندما نُحبُ ؟ نُحبُ حدّ البقاء الأزلي ، حدّ الجنون ، حدّ اليقين ، حدّ الاكتفاءِ الأبدي .

وحين نُفارقُ بكاملِ رغبتنا ؟ نفارقُ حدّ النسيان المُخيف ، حتى أننا لا نلتفتُ خلفنا أبدا ، حدّ السير بعيداً عن كل ما قد يحملنا إليهم ، و لا نُبالي ولا نكترثُ ولا نُجيب قسماً حتى و إن تقطعتّ أحبالهم الصوتية نداء لنا .

عندما نبكي ؟

نبكي حتى تصرخُ تلك الوسادة ألماً على حالِنا ، نبكي حدّ النحيب ، حدّ الشحوب ، حدّ احمرار أعيننا ، و انهزامِ قلوبنا .

عندماّ نهتمُ ؟ نهتمُ بكامِل جوارِحُنا ،

وعندما نخاف ؟ نخاف حتى ترتجفُ أعضائنا.

نحنُ من لا نعرفُ لوسطية المشاعِرُ طريق ، كأننا جُبِلنا على أن إما أن نشعرُ بكامل ضمير لنا ، أو لا نشعرُ مُطلقاً .

نحنُ هؤلاء البشر ،

المحكومُ عليهم دوماً بالغرور والتعالي العظيم فقط لأننا نعلمُ حقاً قيمه ذواتِنا ونُقدِرها ، نرى دوماً بأننا تِلك النجمة الساطعة بين باقي النجوم ، نعلمُ بقدرِ سطوعِنا وجمالِنا ، نُدركُ ألفا بأننا مُختلفون ، عظيمون ، مُذهلون ، مُدهشون ، ورُبما

مُبهمـون بالنسـبة إليهـم.
نحـنُ مـن نبتعـدُ عـن كل مـن يُشـعِرنا بأننـا هبـاءُ ، عـددُ إضـافي أو شيءُ لا داعـيّ لـه ،مـن نهجـرُ قطعـاً مـن فقـط يُشـعرنا أننـا أنـاس عاديـون .
نحنُ هؤلاء البشر ،
التي انهزمت مِراراً و تكراراً ،
التـيّ خُدِعـت ، التـي جُرحـت وحُطمـت ، التـي لاقـت مـن البـشرِ أصنافـاً وأصنافـاً ، حتـى كـبرت عـلى حـين غفلـة منهـا وتعلمـتّ ، حتـى لقنتنـا الأيـام دروسـاً أمـرُ مـن القهـوة السـادة ، نملـكُ مـاضٍ مـن الوجـعِ وخـبرة في الجـراح حتـى أفقنـا ، حتـى أصبحنـا بـذاك الثبـات ، و بتلـك القـوه الجبـارة .
نحن هؤلاء البشر،
التـي تعلـمُ كيـف لهـا أن تسـعدُ ذاتِهـا دون أي تدخـلِ بـشريَ ، نكتفـي بنجـوم السـماء، بقهـوة ، بكتـاب ، أو رُبمـا بـوردهٍ ، نكتفـي بذاتِنـا قبـل كل شي ،
نسـهرُ حتـى ينـامُ القمـر ، حتـى نُلقـي -صبـاح الخير-عـلى سـماء السادسـة .
نحـن بـشرُ تملـك قلوبـاً لم يلوِثُهـا الزمـنُ بعـد ، فـلا نبخـلُ بمـا قـدّ يسـعد بـشراً حقـاً ، وإن كانـت كلمـة بسـيطة.

نحـنُ أُنـاس تُـدركُ أن الحـبُ لـن يُخلـد ، وأن الصداقـة لـن تـدوم ، و أن الحـزن لـن يبقـى ، وأن الألم لـن يـدوم ، إن الحيـاة لـن تبقـى ، و أن المـوت لـن يُنـسى ،
وأن النفس لن ترضى ، وأنها ستُعاشُ جبراً.

# إحدى أمنياتي...

رُبما كانت إحدى أمنياتي حقاً أن أعاصر تلك الحقبة الزمنية التي مضّت ، أن أُعاصر زمن عصورِ الجمال التي -حزناً- انقضت.. أن أعيش في ذاك العالمّ العظيم ، مع تِلك الأناس العظيمة ببساطتها، أعتقدُ بأنني حينها سأكونُ فتاة الأفكار والمعتقداتّ والهواجس والظنون التي رُبما لا تعرِف لفتاة الآن طريقاً .

في ذاك العـالمّ المـوازي ، أظـنُ بأننـي تِلـك الصبيـة ، ذات الجديلـة التـي تـزداد طـولاً يومـاً بعـد يومـاً ، تفيـقُ صباحـاً مـع زقزقـه طيـورِ جـيران الحـيّ ، كيّ تسـيرُ مـع جدِهـا إلى البسـتانِ الصغـيرِ لتُجنـيّ ثمـارّ اليـوم والحصـادّ ، و تبتسـمُ شـغفاً عِندمـا يـرويّ لهـا حكاياتِـه الماضيـة في طريقهـم صباحـاً .

أعتقـدُ بأننـي تِلـك الفتـاة ، التـي رُبمـا سـتُعجبُ بشـاعرِ المنطقـة ، بقصائـدِه ، بكلماتِـه المدللـة ، رُبمـا كنـتُ سأحسـدُ تلـك الفتـاة التـي كتـب لهـا كل قصائـده ،

أعتقـد أننـي سـأُعجبُ بغـزلِ جـدران الطُرقـاتِ ، بـ صـوتِ موسـيقى الهـدوءُ في الأزقـة ، بـ تلـكِ الرسـمةالمنحوتة جانبـاً ،

رُبمـا كنـتُ سـأملكِ قلبـاً يرقـصُ غنجـاً عندمـا يـأتي سـاعي البريـد حامـلاً رسـالته الورقيـة إليّ،

اعتقـدُ أننـي كنـت سـأُخلِدُ أوراقـي ورسـائلي ، سـأحتفظ بمتلـكاتي وأزهـاري ، سـأحفظهم داخِـل كِتـابي المفضـل أو رُبمـا في صنـدوقُ الذكريـاتِ القريبـة إلى قلبـي .

أظن بأنه عالميّ حينها كان سينحصرُ على بضع أشياء أحبها ، سينحصرُ داخل صندوق صغيرِ أو رُبما على رفِ قريب ..

# بقيت إنسانا...

في ذاك العالم الموازيّ ، إعتقدُ بأنني خُلقتُ بطلاً ،
كي أحارب ، كي أواجه ، كي أسقط عشراً وأنتصرُ ألفاً ،
رُبما كُنت في أول الأمر بشراً ، شخصاً مازال يملكُ قلباً ،
أو رُبما كُنت إنسانا..

أسفاً على ما فقدتّ مني ، علىّ قلبيّ رُبما ، أو رُبما على كُلي ،
لكنني قسماً أجبرت على كل هذا ،

أجبرت عندما انجرفت إلى ذاك المكان ،عندما ظننتُ أنهم لازالوا بشراً بالخير تنبضُ قلوبهم ، عندما طُعنت غدراً وانقسم ظهرُ اليقينُ خلفّي ، عِندها خِدِعتُ مرة تِلو الأخرى ، عندما فِهمتُ بأن الشرُ أسلوب بشريّ لابُد مِنه ، عندِما رأيتُ حسن ظني بهم ينهارُ ألفاً أمام عيني ولمّ أجد من يُبالي ، عندما أدركتُ بأن القلبُ أصبح يُباعُ وقت الملل الشديد ، ثمُ يردُ عند الحاجة فقط ، عندما أحببت .

حتىّ ذُهِلتُ ثم أفقت .

حينها أخذت متاع قلبي إلى أرض المعركة ، ساحة القِتال ، بقيتُ يومها سهيرُ حتى الرابعة فجراً أُردد لقلبي / سنقاتُل كي نحيا .

بقيتُ أتمتم هكذا حتىّ شعرتُ بأنني رددتها بما يكفي و أن

القلـب صـار يعـي مـا قـد قلتـهُ حقـاً.
شـعرتُ حينهـا بأننـي المغـوارُ البطـل ، وأن القلـبُ صـارّ سـلاحاً ماعاد ينبـضُ مشـاعِرُ و هبـاء ، حينهـا شـعرتُ بأننـي مُديـنُ لـكل تلـك الطعنـاتِ و الغـدران ، حينهـا شـعرتُ بأنهـا أخذتنـي إلى صراعـات الحيـاة ، حمّلتنـي إلى أرضهـم الملوثـة ، تلـكّ التـي تُبـاع وتشـتري بِهـا القلـوبُ رخيصـاً ، تلـكّ التـي كلُ مـن فيهـا يخـون ويطعـنُ ويجـرحُ .
وبقدر ما ستطعنُ بشراً ، ستصبِحُ بطلهمّ الشُجاع ،
سـتُكون مغـواراً حقيقيـاً ، سـتُصبِحُ ملـكاً عـلى أرضهـم ، كلُ يهابـكّ وسـتُفرض احترامـك حينهـا حقـاً .
وقتهـا فقـط أدركـت بأننـي سـأواجه ألفـاً مـن الصِعـاب إن بقيـتُ كـما أنـا ، أو رُبمـا بالمعنـى الأكـثرُ عمقـاً ؟
إن بقيتُ إنسانا.
حينهـا فرضـتّ إنسـانيتي عـليّ أن أبقـى كـما أنـا ، لكنهـا أجبرتنـي عـلى أن أحذرهـمُ وكأنهُـم أشـدُ أعـدائي ،
أجبرتنـي أن أتجنبهـم ، ابتعـد عنهـم ، أو رُبمـا أنعـزِلُ إن طلـبَ الأمـر كذلـك ، فـ عزلتـي سـتكون خـيرُ مـن صراعاتهـم تِلك.
بقيتُ إنسانا لكنهصامتُ بعض الشيء ،
إنسـان يعـي حقـا مـا يـدور في أذهانهـم تلـك ، يعـيّ كـمُ مـن الطعنـات قـد يُصـابُ بِهـا إن أمـنّ تِلـك الأنـاس ، أصبـح الحـذرّ يسـيرُ معـيّ كرفيـقُ ليّ ، حتـى يُثبـتَ لي أحدهـم بأنـه يسـتحقُ الثقـة ، أو رُبمـا يسـتدعيّ الأمـر حينـاً آخـرا أرض قِتالهـم تِلـك.

# ماذا لو..

ماذا لو أن الله فوق سبع سماوات يُحبكُ حُباً كثيراً؟ ..
إن كنتّ من الفئة العظيمة التي يُحبُها الله ،
فـ لا يقبل جرحك ولا دمعك ؟
إن كنت مِن مَن يعشّقه الله ؟
فـ يهديك ، ويُسعدك ، يُنجيك ، ويُبقيك .
يمنعُ حزنكّ ويمسحُ دمعك .

ماذا إن كان يحبكُ -العظيمُ سُبحانه-
يُحبك بكل ما أنت عليه؟ فـ يراكّ من عِباده الصالحين ؟ عِبادِه المخلِصة قلوبهم ؟ عبادِه المخطئين التائبين .
فـ يُحب بساطتك وصلاحك ، يُحب وجهك و تبسُمك ، يُحب ضحكك دوماً ، ولا يرضى على حزنك أبدا ؟
ماذا لو أن سُبحانه يحبكُ ،
فينتظرُك ؟ ينتظر أن يسمع دعائك فجراً ؟ و صوتكّ ليلاً ، إلحاحك دوماً ويقينكُ الذي لا يخضع.
ماذا إن كان يُحبك الله ، فـ يُنادي بـ اسمك فوق سبعِ سماوات؟
و يخبرُ كل تلك الملائكة بأنه -سبحانه- يُحبك ،

فتُحبكَ الملائكة اجمع ؟
اللهُم حُبك.

# موجع حقا...

**-موجعِ أليس كذلك ؟**

**ما الموجع ؟**

-أن تعيّ بعد فوات الأوان ، أن تُدرِك حقاً بعد الضياع ، بعد أن ينتهي وقت الإدراك ، أن تندمّ وقتَ لا ينفعُ الندم، أن تستفيق من خمرة الشعور بعد مرارة الإدمان.

-أن تُدركُ بعد عمرٍ ليس بقليلٍ من الصداقة ، أن صديق العمر ؟ وهمّ ، لا بل سراب !

أن لا تُخدعُ ولا تُجرحُ سوى مِنه .

-أن تُدرِك بأنك مخطئ ، فاشلُ ، مُكبلُ ، بل كُنتَ كفيفُ حتى انك اعتقدته بأنه نُعم الرفيق ،

حتى انكّ لُدِغت مِنْ سمُه ، و تجرعتهُ يوماً بعد يوماً ، ولم تَفِق حقاً سوى بعد نوبة من النِفاق الشديد .

-أن تصحو وتبتعدُ عنه ، فيُقامُ بداخلك عزاءّ على تلك الصداقة المـوءودة ، فتبكي جوارحُك ، و يقفُ القلبُ ثلاثاً حدادّ ، حتى يخضعُ ذاك القلب ، حتىّ يهزم ، حتى يتحطمُ و يُعاتِب نفسهُ دوماً ، هلّ هو من أخطأ حقاً ؟ أم أنت من أخطأت الاختيار؟

- حقاً كِدتُ أنسى ،

الموجعُ حقاً ليس كل ما قد قيل ، الموجعُ حقاً أن بعد كل ذاك يأبي القلب بأنّ ينساه ، يأبى بأن يجعلهُ ماضٍ وانتهى ،
بل يبقى كالخدش الصغير ، كالنحت ، كالجرحُ الذي كلما مررتُ عليه إصبعك ، صرَختْ جميع جوارِحُك ألما ، ولا يطيبُ أبدا.
-أتدري ما الموجعُ أيضا ؟
ماذا؟
الموجعُ أن قلبِك حينها سيشيبُ مُبكِرا ،
سيعيّ حدّ أنه سيشيبُ على الرغمِ من صِغره .
ستكون في شباب عمرك بقلبِ عجوز ، قلب بخدوشٍ طفيفة، وبعلاماتِ منحوتة ، ستُكمِلُ حياتِك بقلب يخاف أن يقتربُ فيُجرح ، يسيرُ بحذرَ ، من شدة حذره يخطو ببطء ،
كـ حذرِ فتاة الباليةّ تسيرُ على حبل رفيع ، كـ حذرِ لاعِبُ تم اختياره كي يُحرزُ هدف الأمل في الدقيقة التسعين ، كحذرّ من يبحثُ عن درجه واحدةّ كي ينجح في امتحانِ يُعيدهُ للمرةالخامسة.
بلّ ؟ حينها سيكون قلبكّ أنت اشدُ حذراً من كل ما قد قيل .
كأنه يسيرُ على مربعاتِ باردة بينّها لهبِ مُشتعل ، خطوه واحده خاطئة كفيلهُ بإحراقِه .
ستُكمِلُ حياتك بذاك اليقين ، يقينُك بأنه - إن لم تحذرهم؟ ستُجرحّ مِنهم - ،
ستُكملُ معتقِداً بأن كل من حولك سيئون ، سوى من سيُثبتُ

لـك عكـس ذلـك .
سـتُكملُ تِلـكَ الحيـاة بمعتقـداتِ و أفـكار تُشـعِرُك بـأن العزلةأجمـل قـرارُ و اختيـار.
الموجعُ والمحزنُ حقاً ،
بأنـك حينهـا ستُسـلبُ منـك حياتـكُ إلى تِلـك العزلـة ، ليسـت بتلـك العزلـة التـي تختلـقُ في أذهـان البعـضُ ،
التـي تكمُـن في غرفـه سـوداء وبـاب مُقفـلُ ونافـذة لا تـرى ضـوءاً ، وأناسـا لا نسـمع لهـم أصـوات .
العزلة حقاً هي انك ستبقى معهم ،
سـيجاوِرونك ، سـيُحادثونك ، سـتُثرثرُ كثـيراً ، ستبتسـم ، سـتصرخُ حينـاً وتهـدأ حينـاً آخـرا ،
ستبقى ، ستأكل ، ستعيش معهم ،
لكنك ستبقي قسماً وحيداً .
تلكَ العزلة التي ستُصيبكُ لن يُدركُها سوى أنت .
فـلا أسـوأ مـن أن تعيـش معهـم جسـداً لا عقـلاً و قلبـاً ، لا أوجـع مـن أن تتحـدث ألفـا ، مـع كامـل اليقـين بأنهـا ليسـت الكلـمات المقصـودة ، ليسـت المشـاعرُ التـي بداخلـك ، ليـس مـا تشـعُر بـه ، ليسـما ترغـبُ حقـاً بقولـه،
و يبقى دوماً جزء من النص مفقود.
حتـى تتولـدُ هالـه مـن اليقـين داخِلـك ، بأنـهُ وإن ثرثـرت كثـيراً ، لـن يعـيّ أحـدُ مـا بداخلي..

ف تهدأ ،
تهـدأُ حتـى يعتقـدُ البعـضُ انـكُ موجـعُ ؟ كئيـب ، تعيـس أو متهالـكّ، تهـدأ ولا تكـترثُ لمـا يظنـهُ الجميـع عنـك .
لا تهتم لما سوف يُقال أو قيل ، فقط تهدأ .
حينها فقط يتولدُ السلامُ بداخِلك ،
حينهـا سـيعتادون هـدوءك ، وسـتتجنبّ أن تتحـدثُ كثـيراً ، أن تُثرثـرُ طويـلاً مـع كامـل اليقـينُ بأنـك لـن ترتـاحُ بعـد هـذا .

- ذاك هو الموجعُ حقاً .

# أريد أن أُحبك ...

**أريد أن أحبك ..**

حدّ الأبدية ، حدّ الدوام ، حد الأبد والبقاء.
أن أُحبك حتى التغيُر ، حتى التجّمل ، حتى التكبُر .
أن أُحبك حتى التجرُدِ من أفكاري ومعتقداتي ، التجرد من خواطري وهواجسي . التجرد من مشاعري وأحاسيسي ،حتى التجرد مني والهروبُ إليك .

أطمـحُ أن أُحبـك حتـى أتخلـص مـن عـاداتي ، حتـى أتخلـص مـن سـلبياتي ، حتـى أتخلـص مـن مخـاوفي و هزائمـي ، حتـى أتيقـن بأننـي انتـصرتُ ، حتـى أُردد بصـوتِ مِلئِـهُ اليقـين ؟
أنا عشقتّ.
أريـد أن أُحبـك حـدّ الـذي لا حـدّ لـه ، حـدّ الضيـاع و التيـه ، حـدّ اليقـينُ بـأن التيـهُ داخـلُ أيـسر كأعظـم ألفـاً مـن خرائـط الأرض أجمـعّ .
أسـعي بـأن أُحبـك حتـى أصـل لنقطـهِ تنعـدمُ عندهـا كافة المشـاعر، كافـة المشـاعرُ حقـا ، سـوى حبـكَ .
أن أهيم عشقاً بتلك النقطة .
أن أعشـقها حـدّ الإدراك بأنهـا نقطـة الكـمالّ للقلـب . بأنهـا النقطـة

التـي لطالمـاّ وددتُ بِهـا ، التـي لطالمـاّ حلمِـتُ بِهـا،
إنها قسماً الحبُ الذي لا ينمو سوى لأجلك.
أن أُحبـكُ حتـى أن يحمِلُنـا ذاك الحُـب إلى عـالمِ البقـاء السرمـدّي ، حتـى تجرفنـا أمواجـه إلى شـواطئ الحـبُ الـذي لا يُوصـف ، حتـى تحمِلُنـا رياحُـه إلى عـوالمُ الهـدوء ، حيـثُ لا أحـدُ سـوانا ، سـوى طبيعـة خضعـت لنـا ، عـالمُ كامِـل خضـعّ لتلـك اللحظـة ، حيـثُ الأزهـار تواجـدتُ لوهلـة ، والطيـورُ غـردتّ عشـقاً لوهلـة ، و الهـدوء عّـم لوهلـة ، ولم يتبقـىّ سـوى صـوتُ تِلـك المعزوفـة التـي قسـماً اعتقـد بأنهـا صُنِعـت خصيصـاً لنـا ، عـالمُ خلـق لنـا وهالـةُ مـن النعيـمِ تحيـطُ بِنـا .
أريـد أن أُحبـك حتـى أعتقـدُ بـأن العـالمُ مجـردُ سـوى مِنـك ، بـأنّ القلـب لا يحـوى سـوى أنـت ،
أن أُحبـك حتـى أعتقـدُ بأننـي خُلقـتُ لحبـك ، خُلقـتُ لقلبـك ، خُلِقـت لأجمَعِـك و لأجلـك .

# ندبة الحب...

**مرحباً ، أنا ندبة الحب بالداخل.**

كنتُ كخطيئة في رحمِ الأيام التي وُلدت بعد تسعِ عثراتِ من الألم.

حدثني ذاك الجسدُ الذي كنت أسكنهُ رُغماً عنه دونّ مقابلاً من الإيجارِ قد يُذكر سوى وخزات قلبية و حريقُ دمعات أنه لا يملّك حيلة كي يُقلعّ أثار تشبثي بداخِله ولا يعلم كيفّ سيكملُ باقٍ من أيامه مدعياً بأنه قد تناسى جزءاً وإن كان صغيراً مني . كنتُ أعلم بأنني لم أُزرعُ بالداخِل عبثاً ، فعالمُ ندوب الأحزان أخبرنا بأنه لا حقُ لنا في الخلقّ إلا بعدما يُثيرونّ كلنا قبل بعضنا ويخلفونّ وعوداً لهم لا تُعد.

فأنا على كامل يقيني بأنني رُسمت ندبة في القلبِ بعدما أجبرني صاحب ذاك الجسدُ على ذلك.

كنت أعي بأنه محكومُ عليّ بالظلم من قِبل أصحاب تلك الأجساد التي نتواجد بداخِلها ، كانوا يجدونني متطفلاً ساذجاً لا حلاً للتخلصِ مِنه ، كنت أُعامل بقسوة وصرامة عظيمة وكأنني أنا من اخترت أحدهما كي أُخلق بداخِله ،

كان طبعُ البشرّ تِجاهنا هو كامل اليقين بأنهم ما فعلوا شيئاً كي يُجازون بِنا ، وأنهم الصوابُ بحد ذاتِه.
كانوا يتناسونّ أخطاءهم التي تقترفها أيديهم ويخلفون وعودهم التي يقسمونها يقيناً ويعبثون كذباً هُنا وهُناك ويدّعون بأننا قد ظلمنا ألفاً.
فأنا ندبة خُلقتّ ألماً كيّ تُرقعُ ثقوباً من الفقدّ قد وُجدت بالداخل، كانت أفعال أيديكم تُخلقني يوماً بعد يومّ وتُطعمني شيئاً فـ شيء إلى أن جعلت مني شبحاً تُطاردونه بالداخل.
كنت أدرك منذ الدقيقة الأولى التي قد أخطأت بها قلوبكم الاختيار وتماشيتم مع نحيب صوت مشاعر الداخل منها بأنني بعد جزءِ من الزمن سأُخلق بداخلكم.
كنت أعيّ حُزناً بأن جزءاً جزءاً منكم سيسقطُ كي أُبنى أنا، كنت على كامل اليقينّ بأنه كُلما أكملتمُ في ذاك الطريق ستتلاشون وسأكبرُ أنا .
لم يكنّ أحداً ليدركّ بأن ندوب الحبّ تلك التي تولد لا تتكون إلا من بعضّ مُخلفاتِه يوماً بعد يومّ . كان قالب ارتكاز تلك الندبة هي كامل الثقة المُفرطة ومجاراة القلب دون العقل ، و كانت الأطراف الخارجيّة تتكونُ من بعض الكذبات ومُخلفاتِ الوعود وإهمالُ مُريب وهالة من التغيرّ الغير مسبوق .
لا أحداً كان سيدركّ بأن كل قصة حب فاشِلة تُموت تُخلق مكانها ندبة في الحال ، وأن لا حُبا ينتهيّ بالكامل دون مُخلفاتُ

تُذكـر ،
وإن كانت أصغر ندوب الأحزان.
كانّ بعضاً مـن البـشر يعتقـد بأنـه مثلـما قـد بـدأ الحـب سـينتهي، وأن نهايتـه تلـك بمثابـة دفنِـه مـع إقامـة كامـل مراسـم العـزاء لـه، لا أحـداً كان سـيعيّ بأنـه بعـد أول دقيقـة مـن انتهـاء العـزاء كـماً مـن النـدوب سـتتصارعُ أي مِنهـا سـيولد في الحـال .

أنـا -أسـفاً- تلـك الندبـة التـي انتـصرت عـلى قريناتهـا ونجحـت في اسـتعمار كامـل داخِلـك وإقامـة عـزاء الفقـد يومـاً بعـد يـوم.
حُزنـاً ، أنـا مـن ظهـرتّ بعدمـا تفننـت في ظلـم ذاتـك مـراراً وتكـراراً، بعدمـا كبلـتُ عقلـك و أطلقـت العنـان لصـوت القلـب .
أدرك بأننـي إن حدثتـكّ عـن أسـباب تواجـديَ بداخلـك حقـا لـن تُصـدِق ولـو كلمـة واحـدة منـي ، لكننـي قسـماً ندبـة حُـزِن وُلـدت مـن صنـعِ يـداك بعدمـا شـكلتها أنـت برغبتـك و قلـت لهـا كـونيّ.
لمّ أُخلقِ إلا بعدما حُكم على قصة حُبك بالفشل الذريع ،
بعدمـا اخـترت شـخصاً لا يُبـالي لبعضـك قبـل كلـك ، بعدمـاّ بكيـتُ مـرة و مرتـين أو رُبمـا عـشراً وأدعيـتّ كامـل القـوة الكاذبـة ، بعدمـا ظهـرتّ علامـات حزنـك عـلى وجـه وسـادتك ولم تظهـر عـلى وجهـه هـو ، بعدمـا شـعرت بأنـك مُعلـقُ بـين السـماء والأرض ، جـزءاً يُجـزم بأنـه يُحبـك ، وجـزءاً يقسـم بأنـه لا يفعـل ،
بعدمـا تحـولّ ذاك الحـب إلى عـالم مـن الإهـمال المفـرط و أعـذار

مـن الوهـم ،
بعـد أول إنقباضـة قلبيـة نشـأت بداخلـك و بعـد أول مـرة سـألته بِها/هـل تُحبنـي؟

حُزناً ،
أنـا قسـماً لم أُخلـق إلا بعـد كامـل أقناعـك و يقينـك بأننـي سـأُخلق بعدمـا تشـبثتُ مِـراراً بتلـك الكفـوف التـي تركتـك دون اقـل إكـراه مُبـين.

# كن شبحا كي تعيش...

إنني حقا لا أعي ماذا أصابنا في بضع سنوات قليله؟
لا اعلم ماذا دهانّا وما الذي جعلنا هكذا ! لا أدرك كيف
لأرواح أن تتغيرّ في سنوات ليست بالكثيرة على الإطلاق .

أسعى بأن أجد سبباً واحداً فقط لكل ما نحن عليه الآن .
أسعى بأن ابحث عن مبرراتِ تهدئ روعّ تساؤلاتِ تتضخم يوماً بعد يوم، ولكن دون جدوى .
لا أجابه تبدو هُنا .
و يظل السؤال يتردد يوماً بعد يوم!
أين جمال قلوبنا في السابعة من عمرِنا ؟ أين غدتّ أرواحنا البريئة تلك ؟
أين الجمال والنقاء ؟ أين البراءة ؟ أين قلوبنا التي لا تنبضُ إلا حُبا؟ وكيفّ أصبحنا ما نحنُ عليه الآن ؟
اعتقدُ بأنه وان ظلت ألسنتنا تُرددُ تلك التساؤلات إلى ما ليس له نهاية !
لن نجد مبررُ لما أصبحنا عليه الآن .
لطالما ظننتُ بأن هُناك عمرُ محددُ لنقاء الأرواح ، و عند تجاوزه؟ يُصيبُنا ما أصابّ جميعُ قومِنا .

كأنها لعنةٌ تُصيبُنا بكامل رغبه مِنا ،تُشعِرُنا بأنه لا بقاءُ لبراءة على تلك الأرض .

كأن شبحاً يخلق بداخِلنا ، يُرددُ دوماً على مسامِعنا

‹لا نقاءُ هُنا، كُن شبحاً كيّ تعيش›

يرددُ ألفاً كي نتبعه بأعينُ مغلقةٌ و أيادِ مُكبلةٌ ، كيّ نتيقنُ حقاً بأننا على صواب ، كيّ نودعُ براءة قلوبِنا ظناً بأن هكذا سنحيى كراماً ما حييّنا.

كأنّ قلباً غير ما خُلِقنا به يزرع بجوفِنا ذيّ كِبر ، يُخبِرُنا بأن قلب الجمال و النقاء الذي كان هُنا لم يُعد صالحاً أكثر من ذلك. يُتمتِمُ لنا بأنه قلبُ لم يعدُ يتناسبُ كثيراً ، لمّ يعدُ يعمل جيداً ، سنُبدِله بمنّ هو اشدُ منه قسوة ، و اقلُ مِنه رحمه .

ويزرع القلب ..

ونودِع جمالِنا ، نقاءنا و صفاءنا ،

وتختلفُ أرواحنا ، أشباحا تسري على الأرض بقلوبِ تنبضُ رُعباً لا غيرّ ذلك .

نسري حامليّ راية ‹ قلبُ جديدُ هُنا› فأحذره .

بعد ما كُنا براءة تسري على قدمين ؟ غدتّ أرواحنا تلك الأشباح المخيفة التي لا توصف.

نتناسى ما كُنا عليه ،

عندما تخوننا تِلك الذاكرة و تحمِلُنا إلى ماضِ البراءة الذي

ودعنـاه برغبتنـا ، تحمِلنـا إلى طفولتِنـا و نقاءِنـا؟
نسعى حقاً بأن نتناسى كل ما كُنا عليه ،
نتناسىّ قلوبُنا وجمالها ؟ ذاك القلبُ الذيّ لا يُدرِكُ للبغضِ طريقاً.
كل ماكان يُدرِكهُ حقاً بأنه يُحب ، فقط يُحب .
يُحـب كل مـا يـسرى حولـه ، يعشـق الأهـل و الـدار ، والأطفـال والأزهـار . يعشـق ولا يُـدرِك كيـف لـه أن لا يعشـق!
عندما تخوننا تلك الذاكرة ، و تُذكِرنا بِنا ؟ برفاقِنا ؟ بأيامِنا تلك ؟
كيـف يوصـف ذاك النقـاء ؟ كيـفَ كُنـا نظـنُ بـأن الخـير يعلـو ولا يُعـلى عليـه ؟ وان لا شرُ يبـدو هُنـا ؟ كيـفّ كان القلـبُ يظـنُ بـأن الحيـاة سـتحلو إن كبرنـا يومـاً بعـد يـوم ؟ كيـفّ كُنـا نتسـاءل حتـى مّلنـا السـؤال -متـى سـنكبرُ يـا أُمـي-؟
كيـفّ كُنـا نعتقـدُ بـأن الجميـعُ يُحِبُنـا ؟ ولا يوجـد مـن يكرهنـا هُنـا! حتـى ذاك القمـر؟ يُحبنـا حقـا حتـى انـه قـرر بـأن يتبعُننـا أيـن مـا اتجهنـا .
كيـف كُنـا نظـنُ بـأنّ السـعادة تكمُـن في لُعبـه ، في دميـة ، في أغنيـه، أو رُبمـا في حلـوى ؟
كيـف كانـت قلوبنـا بسـيطة حتـى أنهـا ظنـتّ بأننـا إن اختبـئ جسـدُنا الصغـير خلـف سـتائرُ المنـزل القصـيرة لـن يجدونَنـا بالطبـع!
وكيـف توصـفُ صدمتُنـا حينـما يجدوننـا ؟
كيف كُنا نعتقدُ بأن وردةَ حمراء ،
بـل رسـمة جميلـة ، بـل قُبلـة عـلى جبـين مـن غضـب مِنـا ، يُعـد

كافِ حقـاً لإرضائـه؟
كيـف كُنـا نخبـئ وجوهنـا بكفوفُنـا الصغـيرة تلـك حينـما نخجـل؟
كيـفّ كان الجـرحُ يكمُـن في نزيـفُ جسـدنا الهزيـل لا غـير ذلـك؟
كيـف كانـت الخيانـة حراماً ؟ و المـوتُ رحيـلاً مؤقتـا ؟ و الحـبُ عشـقاً دائمـاً ؟ و كيـفُ كانـت أرواحنـا تِلـك !
كيف كُنا نُغمضُ ألفا في العاشرة ليلاً، خوفاً من شبحُ الدار ؟
وكيف غدت أرواحنا هي الأشباح تلك التي كُنا نخافها؟
مئـاتُ -كيـفُ - تتولـد فقـط عندمـا تُجبرُنـا تلـك الذاكـرة عـلى أن نتذكـر مـا تركنـاه بأيدينـا .
ألاف التسـاؤلات تتولـدُ وتتضخـم ولا سـبيلُ لحصرِهـا هُنـا ، لا سـبيل لإجابـات تكتُـم أفـواه تلـك الاسـئلة ،
ولا سـبيلُ لجديـدُ في العقـل يُرضينـا و يُفهِمنـا مـاذا أصابنـا ومـا دهانـا ؟
كيف كبرنا وتحوّلنا هكذا حقاً؟
لا أجابه تُذكر...

# ظننتُ البساطة عنوان لعالمنا

**عودةً بخيالٍ لذاكرةٍ ورديّة من شدة جمالِها..**

رحلةً إلى تلك الطفولة ، إلى بضعُ سنواتٍ من الأمل ..

إلى أرجوحتي ، إلى دُميتّي ، إلى جديلتي ، و إلىّ عالمُ من البراءه..

إلى تلـك الذكريـات المنحوتـة عـلى جـدار القلـب ، المخلـدة حـد الثبـات في العقـل ، الجميلـة حـد الحـزنّ عـلى فقدانهـا..

كنـتُ بريئـة حـد أننـي ظننـت بـأن المدرسـة هـي سـبب الحـزن الدائِـم ، وأن صـوت الجـرس هـو صـوت السـعادة القصـوى ، عِلمـتُ بـأن نجمـه تُرسـمُ عـلى يـدي ستُسـعدني يومـاً بأكملـه ، وأن حلـوى سـتصنع بهجتـي سـأنالها إن قمـت بواجبـي ..

كنـت في صغـري أظـن بـأن القلـب الأحمر يعنـي الحـبُ ، وان الوطن يعنـي الأمـان ، وان الرفقـة تعنـي البقـاء ، و أن الخـير قـد يجتمـع في شـخص واحـد كـ سـندريلا ، وأن شر العـالم كلـه يبـدو بإخوتهـا ، حسـبتُ بـأن جميـع القصـص تنتهـي بـزواج البطـل والبطلـة ، وأن لا وجـود لنهايـة دون تلـك ..

كنـت أظـن بـأن القمـر يتبعنـي أينـما ذهبـت ، وإن قطـف الأزهـار أكـبر جريمـة في حقهـا ، وان الدُمـى تحبنـي كـما أحبهـا كثـيراً وأن بـكاء أمـي سـينقضي ب قُبلـهٍ عـلى جبينهـا ، حسـبتُ بـأن الشـمس لا

تُرسم إلا جانباً ، وأن بعض نقاط في سماء رسمني بالطبع ستُفهم بأنها عصافيرٌ ، ظننتُ بأن أُمي دوماً لا ترغب في الطعام حينما أكون أنا جائعاً ..

حسبتُ بأن -أُحبك- لا تُقال إلا صِدقاً ، و -أسف- ستحل أكواما من المشكلات ، ظننتُ البساطة عنوان لعالمنا .

ظننت بأن حكايات جدي لن تنتهي ، وأن جدتي ستبقى دوماً، و أنني سأكبر كثيراً إن سمعت كلام والدتي ، وأنني سأسعد حقاً إن كبرت ..

ليتني لم اكبر أبدا..

# خُدِعتُ انا أم خُدِعت ؟

كيف يبدو شعورك عندما تُخذلُ ممن أقسمت عشرا
بأنهم يختلفون تماماً عن ذي البشر ؟

عندما تخذلُ حتى تُذهل من هوِل الموقف ، فتُرددُ ، خُدِعتُ أنا أم خُدِعت ؟

فتُخذلُ حتى الوجع الذي لا يوصفّ ، وتوضعُ على الرصيف جانباً ، تئنُ حيناً ويبكي الفؤادُ حيناً أخر ،

حتى تَصلُ لنقطه بلهاء تُقِرُ بها بكاملِ فقدان وعي ، من الجميلِ أن أسامح ، وأنا سأسامح ،

تتناسى وجعاً لا زال ينزف بداخلك ، تتناسى خذلانا وجرحاً وألماً ،

فـ تجر سيقان الحبِ المبتورة إليهم ،

فـ تدّعي القوة الهزيلة ، ثم تبحث عنهم ،

فـ تختلقُ عذراً ، ثم تدّعي التسامح ، فتقتربُ منهم ،

تقتربُ كثيراً ، تبحثُ ألفا ، وحينها ، أنت من لا تجدهم؟

كيف هو شعورك ؟

# ﴿ إليكم..﴾

إلى الأشخاص الذين أيقنوا بأننا مكبلون حق التكبيل أمامهم ، مسلوبين دوماً من مشاعِرُنا تجاههم ، مُندفِعون إلى الأبد لأجلهم ، نملكُ جوارِحاً وقلوباً مُقيدهُ بسلاسلٍ أمامهم ، وألسِنهُ لا تنطقُ إلا سمعاً و طاعة .

نحنُ من ظننتم بأنكم تملكونّهم وان فعلتم كل ما رغبتم ،
فـ أحببنا أن نخبركم بأنكم على كامل الخطأ العظيم ، أفقنا ، وذُهِلنا ، فحملنا متاعنا بعيداً عن ذاك الوادي الجاف الذي لا زرع فيه .

نحنُ من أفقنا من ثباتِ ذاك الحبِ الكاذِب بعد عدد ليس بقليل من الكذِبات ، أفقنا فـ خرجنا من عالم الوهم بكامل رغبة مِنا ، تفكرنا كثيراً بكل ما قد كان يجب أن يُتفكر به ، وتجاهلناه مسبقاً بناءً على طلب قلوبِنا .

فـ ذُهِلنا من عمق التفكير بكل ما يُجرح .

لوهلة قررت تلك الذاكرة على خيانتنا ، فـ سعتّ بتذكيرنا بكل ما قد تداعينا بأننا نسيناه حقاً ، هُنا كمٌ من الصدمات جاهدنا على نسيانها بترديدُنا ‹جّل من لا يخطئ› ، هُنا جراحاً مُهملةً

لازالـت حقـاً تنـزفُ ، تركناهـا بقولِنـا ‹ جـرحُ سـيلتأم› ، هُنـا دموعـاً لم يـأتي حينـاً عـلى جفافهـا ، تناسـيناها بقولِنـا ‹سـتُشرِقُ بسـمة تمحوهـا› ، و هُنـا مئـات مـن الكذبـات عذرناكـم بهـا كونِنـا مدركـين بـ ‹ التمـس لأخيـك سـبعين عـذراً›..

لكنِنـا قسـماً أدركنـا بأننـا التمسـنا سـبعين ألـف عـذراً لمـن لا يسـتحقّ،

أدركنـا بأنهـم اعتـادوا عـلى أعذارنـا لهـم فظنـوا أنهـم دومـاً معـذورونّ، ظنـوا بأنهـم وإن فعلـوا مـا فعلـوا، مـسامحون باقـون في نفـس مكانتهـم.

والآن حقـاً عظيمـة ملامـحِ تلـك الدهشـة و النـدم عـلى وجوههـم عندمـا رحلنـا..

# ﴿ إليكم..﴾

إلى من اقتربَ ،
فسلبَ، فجرحَ ، فحطمَ ، ف أبكى ، ف أُعجِب بنفسه ، ثم ابتسم.

إلى من اعتقد بأن القوة تكمُن في خلقِ جروحاً لن تلتئم ، ظلمِ أناساً لن تنتقم ، كسر قلوباً لن تنجبر ، وجروحاً تبدو هُنا وهناك.

إلى ذاك الذي لا يُدرِكُ بأنها دوامةٌ دوماً تدور ستعيدُ له ما قد سلف. إلى من ظن بأنها عبثاً، دُنيا دانيه لا حقوق بِها ، عالمُ من الفوضى و الهلاك .

إلى من يُلقي كلمات كالحجارة بل أشدُ، فينزعُ بسمةً ويزرعُ دمعاً لا يجف ..

إلى من يتفنن بالظلم الشديدّ، يُعجبُ بألأمهم، بجروحهم ، وهلاكهم

إلى من حلف ألفاً بالبقاء، ف وجد أو لمنعطف، ثم انجرف..

إلى من اخذ أماناً من أناساً ، فـ حملهم إلى أراضِ من التيه والضياع ، ثم ابتسم.

إلى من تأكد بأنه أصبح كالهواء في حياة أحدهم، فرحل في الحال سريعاً وابتسم.

إلى ذاك الـذي يـزرع أشـواكا ولا يُبـالى، يُبـكي قلوبـاً ولا يُبـالي، يُهلِـكُ أحيـاء ، ولا يُبـاليّ..

اقسمُ حقاً ، بأن الله يُبالي ..

تاللـه بأنـه يُبـالي ، يُبـالي جيـداً حتـى أنـه سـيجعلُ لـك نصيبـاً مـن ذاك كلـه .

قسماً ستُسألُ عن أناسِ جرحتها،

عـن أعـينٍ أبكيتهـا، عـن جروحـاً زرعتهـا، عـن كل مـا قـد سـلف حقـاً،

و لن تُجيب...

# ﴿ إليكم..﴾

لمن لا يُبالون بفجوات حزنٍ وضعوها عمداً في حياتنا ..
لِمن لا يبالون بقلوبٍ تمزقت، و عقولٍ تحطمت،و مشاعرٍ تحنطت ودموع لا حصر لها .

إلى كل مـن وضـع قلوبنـا عـلى الرصيـف جانبـاً وارتحـل ، إلى كل مـن ارتخـت يـداه في منتصـف الطريـق ، والى كل مـن ادعـى بأنـه أحبنـا ..

إلى من ظّن بأننا جبالاً تُلقى بالصخور ولن تُبالي ..

إلى مـن اعتقـد بـأن قلوبنـا مُحنطـه ، ومشـاعرُنا مجـردةٌ ، وعقولنـا فارغـة ، ولا حيـاة لمـن تنـادي .

إلى مـن ظـن بـأن هـدوء ملامحنـا لا يعكـس نزيـف داخِلنـا ، وأن سـكوت ألسـنتنا يُخـرسُ ضوضـاء عقولنـا ، وأن قوتنـا تنبـع حقـاً مـن باطِنُنـا ، وأنـه لا مشـاعرّ لنـا .

إلى كل مـن يجهـلُ بأننـا بـشر ، نشـعر ونبـكي ، نتحطـم وننجـرف إلى الحـزن ثـم نصارعـه ، نـصرخُ بأعـلى أصواتنـا ، نتشـبث بأيـادِ ممزقـة، نبحـثُ عـن مخـرجُ وسـلام ، نتمسـك بخيـوط أمـل ، ونقـاوم بـكل قـوة هزيلـة ، ولا يسـعُنا سـوى بـأن نُكابـر أمامكـم .

إلى كل مـن يجهـل بـأن كلماتـه القاسـية تُبـكي قلوبنـا قبـل أعينـنـا ، وأن أعيننـا تُبـكي كبريـاءُ عـلى قلوبنـا ، وأن عقولنـا تـصرخُ ألمـاً عـلى حالنـا ، وأننـا نتمـزق وجعـاً ولا نُبـالي .

إلى كل مـن يجهـل بأمـر كلمـة قـد تحطـمُ عقـلاً ، ونظـرة قـد تُبـكي عينـا ، وصوتـاً قـد يُفطِـرُ قلبـاً ، ومشـاعرُ تبـدو هُنـا وهُنـاك.

- رفقاً بِنا...

# على غير المُعتاد...

اعتدتُ منذُ اللحظة التي تركت يداك يدايّ أن أتجرع
الكبرياء العظيم ، وأدّعي القوة الجبارة ،
أن اختلقُ الراحة العظمى وأبتسم كلّما وددتُ البكاء.

اعتدت أن أدّعي الرِضا التام عن كامِل رحيلك والقبول العظيم لتفاصيل فراقك والانغماسِ في بحرِ الكبرياء الثائر كُلما جرتني سيقانِ الحنين إلى ذكرياتك المُحنطة.

أعتقدُ بأنني اعتدتُ وتفننتُ حقاً في إظهار كم أنني فتاة لا تُقيدُ بقلبِ راحِل ولا تتأثرُ بفراقِ عابر ولا تخضعُ لأحكام غائب ولا تعرِف لضوضاء المشاعر طريقاً.

تفننتُ كثيراً حتى أن صوتي قد برع في إخفاء لعثمة ضياع حروفِه عند الحديث عن رحيلك ، وحتى أن عيني أجادت حقاً فنون إخفاء الدموعِ وحبسها ، وفكُ قيدها والإفراج عنها فقط حين الحنين ليلا ، حتى أن وجهي تميزّ في إظهار عظيم الرضا واللامبالاة المقنعة لكل خطوه حملتك إلى ذاك الرحيل ، تفننتُ حتى أنني للحظة اعتقدتُ بأنني حقاً فتاة قويةُ هكذا..
لكنهُ على غير المُعتاد..

شعرتُ بأنني إن خطوتُ خطوة واحِدة أكثر من ذلك في طريق إدعاء القوة والتظاهر بالكبرياء والقبول ؟ سيجن عقلي وسيُحطمُ قلبيّ وسيشيبُ عمري مُبكراً.

أظن يا راحليّ بأنني في هذه المرة هُزمت أكملي و خضع قلبي حقاً لتفاصيل رحيلك وغيابك الأبدي الذي ظننتُ بأنني قد نسيته حقاً .

رغماً عني أعادتني إليك جملةً صغيرة من أغنية كان لها ماضٍ جميلٍ بيننا ،

لم أكن ادريّ بأن للأغنيات قدرة جبارة في إحياء ما قد ادعت الذاكرة موته ودفنه في قبورِها المهمشه ،

لم أدرك حقاً بأنني كنتُ أبدع فن التمثيلِ وعظيم الرضا حتى سمعتُ تلكِ الأغنيه ، حتى أعادتني إليك كلمة ، حتى جرتني إليك جملة ، حتى أخذني ذاك اللحن وحملتني تلك النبرة إلى نقطه الصفر ،

إلى موضع البداية ، إلى موضع الكسر الذي لم يُجبرُ بعد ،

إلى تلك اللحظة التي خُلدت كـ نحتٍ في ذاكرتي ، دامتّ كـ وشمٍ رسمتهُ في السابق بكامِل رغبتي وعظيم محبتي ، الذي كلما نظرت إليه الآن أدركتُ بأنه ذنبُ -ندماً- لن يُنسى ،

رُغما عنى ،

رحلت إلى تِلك اللحظة وأخذت ذاكرتي في سِرد كل صغيرة و كبيرة قد مضت .

اعتقـد راحـلي بأنـك لـن تُـدرك يومـاً مـدى وجـع العـودة بالذاكـرة إلى الـوراء رغـما عنـك ، لـن تـدرك ألم الرغبـة في المقاومـة والانتصـار عـلى الذاكـرة ولـو للحظـة ، لـن تعلـمُ حـزن اللحظـة التـي تخـور فيهـا كامـل قـواك ويستسـلم فيهـا عظيـم قلبـك و تنهمـرُ فيهـا أعظـم دموعـك وتجلـس فيهـا الذاكـرة جانبـاً و تتجـرعُ الهزيمـة كلـك قبـل بعضـك.

أنـا عزيـزي لـن أجـد بكامـل أبجديتـي مـا قـد يوصِـف هزيمـة الشـوقِ والحنـين لمـن رحـل بكامـلِ رغبتـه دون أدنى إكـراه عـلى الرحيـل ،لكننـي قـد أصفـه لـك بأبسـط مـا قـد يوصـف ،

كأنـك مُكبـلُ لا تملـكِ قـوة في السـيطرة عـلى أدنى شـعورك بالشـوق والحنـين ، كأنـه جـرح ، و إن عقمتـه وطهرتـه ألفـاً يبقـى ملوثـاً بداخلـك ،

أو رُبمـا كأن قلبـك تجـبر وقـرر عـلى عصيانـك ، فـ رحـل ليخطـو إلى طريـق يُعيـده إليـك ، يتمتـم مئـات -لا-للنسـيان والقـوة ،

كأن مشـاعرك طغـت وتحكمـت بعظيـم جسـدك ، فـ جرتّـك إلى أزقـة المـاضي وأراضي مـن الحنـين العظيـم .

## راحلّي ..

اليوم وعلى غير المُعتاد ،

وجـدتُ قـوتي تسـقط أمـام عينـي و لم أقـاوم ذلـك مطلقـاً ، استسـلمتُ بكامـل رغبتـي وإرادتي في ذلـك ،
جلسـتُ في تلـك الـدارِ وأطعـت تلـك الرغبـة في اسـتعاده ذكرياتِـك التـي بقيـت لي مـن بعـدك،
أطعت كامل رغبتي في ذاك اليوم ،
يومهـا لم أدعـي تِلـك القـوة ولم أتلحـف ذاك الكبريـاء، بـل تجـردتُ مـن كلِ مـا قـد كبلـت بـه نفـسي وقلبـي،
تجـردتُ مـن كل مـا قـد حبسـت بـه مشـاعِري ورغبتـي، تجـردتُ مـن كل شي، سـوى الشـعورِ بشـوقيّ والحنـين إليـك.
وجـدتُ عينـي تـذرفُ كـماً مـن الدمـوعِ قـد حُبـس ألمـاً و حـان لـه الإفـراج العظيـم ،
وجـدتُ شريطـاً مـن الذكريـاتُ يسـيرُ أمـام عينـي و كـماً مـن المشـاعر تتولـدُ و تتزايـدُ حقـاً.
حينها فقط و للمرة الأولى شعرتُ بتخبطِ في نبضي لا معنى له ،
كان قلبـي يـدقُ بقـوة كالجـرس ، كان يـزداد شـيئاً فـ شيء ، حينهـا وقفـت تلـك الذاكـرة في صِفـه وتفننـت في تذكـيره بتفاصيـل التفاصيـل و نبضـه يتزايـد أكـثر وأكـثر ، أظنـه كاد أن يجـن حينهـا ، بقيـتُ هكـذا ضائعـة بينهـم لبضـع دقائـق إلى إن انهـزم القلـب حقـاً و شـعرتُ بكامـل الهزيمـة تـسري في جسـدي .
يومهـا فقـط تيقنـت بـأن جميـع محـاولاتي في النسـيان و ادعـاء القـوة فاشـلة إلى حـد الألم ، يومهـا أدركـت بأننـي احمـلُ كـماً مـن

المشاعرِ وفوجاً من الحنين بالداخلِ إليك ، حينها علمت بأنني قد تجرعتُ حزن فراقك كله في تلك الليلة ،
أدركت بأن غيابك ذنباً لن يغفره قلبي لك وأن رحيلك سيبقى جزءاً لا تنساهُ ذاكرتي أبدا ،

## و بكامل رغبتي ،

أعدت تشغيل تلك الاغنية ..
لا أعلمُ حقاً هل كنت أعاند تلك القوة التي مللتُ من ادعائها أم أنه عظيم الاستسلام للشوق والحنين قد كان المُتحكم في تلك اللحظة.
أخذتني هذه المرة الأغنية إليك بأكملي .. جُرفتُ كلي قبل بعضي إليك ، نسيتُ جرحاً، نسيت ألما ، نسيت رحيلاً و حزناً .
نسيتُ كل ما قد نحتته الذاكرة بأنه ماضي وانتهى ،
نسيت رحيلك وغيابك وتجبرك وقسوتك ..
فقط تذكرتك..
تذكرتُك بكامل تفاصيلك المُلهمة ،
فقط تذكرت عالمك ذاك ،
وجهك وصوتك ولعثمتك وجمالك وقلبك وحُبك لي..

## راحليّ ،

قسماً تذكرتكُ أكملك وكأنك لم ترحل أبدا ،
و كأن ذكرياتك تلك واقعِ لم يكتب له أن يرحل ،
كأنك باقِ و لم يأخذك الفراقُ مني .

## راحلّي ،

رُغـماً عـن قلبـي المتكـبرُ وقـوتي الطاغيـة وعنـادي الثائـرُ وكامـلُ رغبتـي في الكبريـاء والرضـا.
اعتقدُ بأنني يجب أن اقل -اشتقتُ إليك- حقاً .
و ليثور ذاك العناد ألفاً.

# الله وحده يدري

منّ يُخبرُ تلك البساتينُ بأننا أحببنا تلك الأراضي العِجاج ؟
منّ يُخبرُ تلك القلوب بأننا أحببناهم حقاً ،
ومن يخبُرُنا بأن نكفّ عن ذلك ؟
منّ يَلطِفُ بِنا ويُخرجنا من دوامةً قسماً بأننا أحببناها ، منّ يُمسِك بأيدينا ويُبعِدُنا عنها ؟ مّن يُجبِرنا على التشبُثِ بقوةٍ والتمسُكِ بالنجاة ، ومن سـ يُخبِرُ النجاة بأننا لم نرغبُ بِها ؟
منّ سيُنقِذُنا من أفعال ستقتِلُنا نقومِ بها بكامل رغبةّ مِنا ؟
منّ سيُخبِرُنا بأنها مشاعِرُ ستسلبنا إلى الضعف بـ خُطى واثقة إن لم نكف عن ذلك ؟
من سيُجبرنا على أن نفيقّ، ومتى سنفيقّ ؟
منّ سيجعلنا ندرِكُ بأن الانتظار لا ينتهي ، وأن الحبَ وحدهُ لا يكفيّ بأن يأتي بِهم ؟
من سيُخبرُنا أن السهر لا ينقضي، وأن حروفِنا ليست بقادرة على وصف ما نشعرُ بِه ؟
منّ سيُذهِلُنا بحقيقة أن العطاء قد يُعتاد ولا يُجازى بالعطاء المقابِل؟
ومن سيُقسِمُ لنا بأن مئات الرسائل لا تكفي لجذبِ قلوبهم إلينا ؟

متـى سـنُدرِكُ بـأن الأحـلام ليسـت بالـضرورة أن تتحقـق ؟ وأن البقـاءِ بــ مدينـة واحِـدةً لا يكفـيِ لـ وجـودّ الصُدف ؟
متـى سـنُدركُ أن تأمُلِنـا لسـاعاتِ رسـائل الجفـاف التـي أرسـلوها ، لـن تـزرعُ ورداً عـلى حـين غفلـة مِنهـا ؟
ومتى سنحمِلُ متاعنا بعيداً و نرتحل ؟
الله وحدهُ يُدري...

# عادَ العيدّ...

عادَ العيدُ بأكوامِ من مشاعرِ تائهة لا تجدُ منفى يحمِلُها إليها، بأكوامِ من التناقض المُريب ، عادّ بالغرابة والتخبُطِ الذي لا يوصف .

عـاد وعـسى أن يتـلاشى ضجيـج الداخـل بقدومـه، عـادّ وعـسى أن تنتـصِرُ مشـاعِر العيـدُ عـلى تلـك المشـاعر.

أما بعدّ :

عـاد عيـدك بـلادي حزينـة، أعـادهُ اللـه عليـكِ بـ الخـير المديـد، تنـاسى بـلاديّ أمـرّ عروبـة تبـكي مـن الجهـل الشـديد، تنـاسى بـلادي حزنـاً عـلى الفقـد العظيـم. تنـاسي جهـلاً وسـخطاً وحربـاً .

تنـاسى دمـاءً سـالت و تحوّلـت نهـراً ، تنـاسي جميلتيّ قلوبـاً تحطمت وأرواحـا تـشردت قبـوراً شـيدت ، وأناسـا دُفِنت هُنـا وهُناك.

بلادي،

حزنا على حالِك وحال عروبة الجهل والضياع ، عاد عيدُك.

عاد عيدكُ حبيبتي ،

عاد عيد أطفال اليُتمِ المرير ،

عـاد عيـدُ فتـاة السـابعة تبحـثُ عـن مـأوى لا ثوبـاً . عـاد عيـدُ

صيـاحُ ذو بضـع الشـهور ، يُسـكِتُه أخـاه ذو بِضـعُ السـنين ، فـوق ذاك القـبرُ المريـر.

عـاد عيـد تلـكّ الجـدة التـي لازالـت تُحيـكُ ثوبـاً جديـداً لحفيـده راحلـة ، وذاك الأب الـذي لازال سـهيرُ العـين يحـرسُ قبـوراً مـن الفقـد العظيـم .

عـاد عيـد الحلـوى، عيـد الكعـك ، عيـد الدُمـى التـي حُنطـت حيـث لا بقـاء لأطفـال هُنـا.

بلادي جميلتّي ،

عاد عيدُك وعادتّ عروبة حُنطتُ تبكي من الجهل الشديد .

عـادت رجـالاً، وسـيوفاً وحُبـاً . عـادتٌ شـهامة تُبـكي الجميـع فخـراً بهـا ،

وعادَ العيدّ.

# عدا أُمي...

-قسماً لقد تعبتُ من تلك الحياة-
أتذكر جيداً نبره الحزن بصوت أُمي عندما رددتها ثلاث مراتٍ بِصوت مُتلعثمٌ يسودهُ سوادّ تلك الحياة وحُزنها، أتذكر جيداً نحيب صوتها ذاك واحمرار أنفها وعينيها التي كانت تبدو بؤره من الدم الفاسدّ من شِده الألم.

كلماً عصرتُ تلك الذاكرة و أجبرتها على أن تستعيدُ الذكرياتُ بدِقه أعظم ؟ لا أتذكر أية ردة فعلِ تُذكر قد فعلتها أمام ذلك الحدث.
كل ما أذكرهُ حقاً هو أنني مسكتُ بـ يديها وأخبرتها بأن تكفّ عن البكاءِ وأنه لا شيءُ يستحق.
لا أتذكر موقِفُ قد اتخذتهُ ولا واقِعاً قد غيرتهُ ولا مُحالاً قد فعلته ، لا أتذكر سوى بأن قلبيّ كان ينزِف ألماً و يعتصرُ حزناً أمام ذاك الموقف ، أذكرُ جيداً مدى الحزن الذي تغلبنيّ عندما وجدتُ ندوبَاً من الألم ترتسمُ على وجه أُمي ،
شعرتُ وكأنني قد صُفعتُ ألماً بقدرِ ألم تلك النديات التي لن

تـواري سـوءاتها جميـعُ مسـاحيق تجميـلُ ذاك الواقـع.
أتذكر حقاً ماذا قد شعرتُ عندما تأملتُ وجهها حينها ،
اذكـرُ بـأن قلبـيّ حينهـا صـار لونه اسـوداً ينبـضُ ألمـا لا نبضاً، شـعرتُ ولأول مـرة بـأن جميـع أحـزان تلـك الأرض أوهامـاً أمـام حزنهـا هـيّ، وكأن جميـع دمعاتهـم لاشيء مُقابـل دمعـه واحـدة منها.

لطالما أدركتُ بأن الواقِع حزيناً وأن الحياة ظالمة بعض الشيء،
لكننـي حينهـا فقـط أدركـت بـأن الحيـاة قـد تجـبرتّ إلى الحـد الغـير مسـموح بـه، إلى الحـد الـذي لا حـد لـه ، إلى دمـوع أُمـي .
شـعرتُ وكأن الواقـعُ يُخـبرنيّ بأنـه ودّ لـو أن يشـنُ حربـاً طرفاهـا أنـا وهـو ، كأنـه يُخـبرني بأنـه دائـرة ظلمـه لـن تقتـصرُ عـلى أحـد ، ولا تسـتبعدُ أحـدا.
اذكـرُ جيـداً كـم وددتُ حينهـا أن أصرخ بوجـهِ ذاك الواقـع وتلـك الحيـاة وأكـسرُ يداهـا عُنفـاً وأخبرهـا/ عـدا أُمـي.

كـم وددتُ أن أحطمهـا خوفـاً كي تعـرفّ حـدودً لهـا لا تتخطاهـا ، كي تفهـم أنهـا وإن فعلـتّ وتجـاوزت تلـك الحـدود بـترتُ لهـا أطرافهـا عقابـاً عـلى مـا قـد صـدرّ مِنهـا .
يومها فقطّ أدركت بأن أُمي تضعف تماماً مثلنا ،
أدركـت بأنهـا سـتبكي إن أحزنتهـا الحيـاة ، وسـتحزنّ إن حاصرتهـا الهمـوم .حينهـا تذكـرتُ قائمـة مـن كلـماتِ القسـوة التـي أُرددهـا

دومـاً لهـا ، ومـا كانـت رده فعلهـا إلا أن تنظـرَ إليّ و تُخبرني-هـداكَ اللـه-

يومهـا حقـاً أدركـت بأنهـا كانـت تجـبرُ كـسر قلبِهـا بكلـماتي الموجعـة تلـك بدعـوة قـدّ تجعلنـي أكـفُ عـن هـذا...

حينهـا تيقنـتُ بـأن المـرأة التـي تدعـي أمامنـا بأنهـا فولاذيـه مـن حديـد لا يصـدأ ، هشـة حتـى أنـه قـد تصدؤهاالحيـاة وتُحزنهـا ألفـاً عـن حزننـا .

في تلك الليلة فقط ،

أدركـت بـأن جميـع أحزاننـا كذبـه ، وهـم ، لا بـل لا شيء يُذكـر حقـاً أمـام أن تشـعرّ بـأن الجبـل الـذي لطالمـا ارتكنـت إليـه يسـقطُ أمـام عينـك ولا تملـكُ أي شيء لإنقـاذه سـوى أن تحـزن عـلى حالـه.

# لِم هو ؟...

فتاة تعتزل طريق الحب ،
تبتعد مئات الأميال عنه ، تسير معاكسة تماماً عنه ،
تسير ولا تسعى أبدا أن تلتفت خلفها ،
علماً بأنه لن يُجُذِبها إليه أحدا ، يقيناً بأنه لن يُلفت
يسارها أحدا ، لن يُحطمُ غرورها أحدا ، ولن يُهزمُ
القلب عشقاً..

تبدوا كفتاة ساخرة من ذاك الحب المشئوم ،
فتاة تعشق نفسها حد الاكتفاء بذاتها ، تبدوا وكأنها قد استسلمت عشقاً لتلك الدائرة الموضوعة بها ، حيث البداية لا تختلف كثيراً عن النهاية ، كلاهما لها وحدها .. لكنه من حُزن حظها ، يبدو وكأن نوبة إعصار أصابت تلك الدائرة الصغيرة ، أمواج من المشاعر غزّتها ، أكواما من الحب هاجمتها .
حتى حولتها إلى دوامه عِشق لا تنتهي ..
دوامة لا تعلم كيف لتخرج منها ، تسعى جاهدة دون جدوى ، تتشبث بكل ما تبقى من كبرياء بات مُحطمُ بعدما أعلن القلب استسلامه وعشقه ، وبات الكبرياء مجهداً ، تتجاهل

نبضـات تُقسِـم عشـقاً ؟ فيبـكي القلـب مُتعبـا ، كغريـق يتعلـق بأصغـر طـوق لنجـاة ، ولا يجـده !
كمـن يُـصرخ أمـلا بـأن يجـد مـن يُخرجـه مـن ذاك المـأزق ، مـن يحملـه ويُعيـده ،
حيث البداية ، حيث الدائرة الصغيرة التي لا تحمل سواها ،
حيث الخلاص من ذاك الحُب المتزايد ..
تتزايد نبضاتها ، ويئن قلبها ، يتحطم غرورها ، و يبكي كبرياؤها ،
و يُردد كل ما بداخلها ؛ لِم هو ؟
لِمَ هو ؟ ولِمَ حقا أنا ؟
تتعـالى الضوضـاء بداخلهـا ، كمدينـة اجتمـع سـكانها أجمـع عـلى ترديـد ذاك السـؤال ..
تكادُ بالغالب تفقد عقلها ،
تسعى أن تُخمِدُ حرائق من المشاعر تسكُن حديثاً بداخلها له ،
تسـعى أن تضـع قلبهـا عـلى أرصفـة الطرقـات وتُحطمـه ، وتسـير مجـرده بـلا بقايـاه ، تسـعى ، لكـن قلبهـا أعلـن الحـرب في صفـه ، ضدهـا .
يعلن كل ما بداخلها استسلامه التام لذاك الحب ، سوى عقلها..
يبقـى معتقـداً بأنـه سـينتصر عـلى أيسرهـا ، و سـيتجاهل ذاك النبض المُنهـزم ، و تلـك المشـاعر المسـلمة ، أكـوام العشـق التـي تتفاقـم يومـاً ف يـوم ، يستسـلم حينهـا قلبهـا ، نبضهـا ،
و أخيرا عقلها .. و تبقى في حيره تتزايد يوماً بعد يوم؛

# الإشارة الخضراء...

يوماً، سنصل جميعنا إلى إدراك بأنه نحنُ من كُنا نخطي في حق أنفسنا بأنفسنا ،

نحن من نضع أنفسنا على طريق الحزن ،

نزرِع قلوبنا في صحارِ جِفاف، نُبني أمالنا على طرقِ مُهدمةَ،،

نحـن مـن ندّعـى بأننـا تناسـينا جروحـاً زُرعـت منهـم بداخِلنـا، كي تُبقـى صورهـم كـما هـي ، ننكـسرِ دومـا ولا يسـعُنا إلا بـأن نُسـامِحهم، تتقطـعُ كفوفنـا تمسُـكاً بمـن هـم أيديهـم دومـاً مرتخيـة عنـا ، ونتشـبثُ بـكل مـن قـرر الرحيـل برغبتـه.

نحـن مـن نمنحهـم تلـك الإشـارة الخـضراء ونعطيهـم حقـاً بـأن يتجـبروا عـلى قلوبنـا ، فنُجـرحُ ألفـاً ، ونُكـسر ألفـا ، ونُهـزمُ ألفـاً حتـى نسـتجيب حقـاً ، ونبتعـد ..

حينها نكبُر فجأة ، ننضجُ على حين غفلة مِنّا ، نُدركُ كل ما قد كان يجب إدراكه مُسبقاً ، ونُصبحُ شخصاً يختلفُ كثيراً عن ذي قبل.

حيـث الهـدوء ، حيـث الثبـات واليقـين ، لا كلـماتُ تُحـرِك جـزءاً في داخِلنـا ، ولا مشـاعرٌ نسـعى لأجلهـا ، حيـث يتخافـت صـوت أيسرنـا ولا يبقـى سـلطةً إلا لـذاك العقـل ،،

## حقيقة،

أشـعر وكأن جميعنـا سنُسـقطُ أرضـا ألاف المـرات حتـى نصـل للنضج العظيـم. سـيُكلِفنا الأمـر ليـالِ طويلـة مـن الوحـدة و الألم ، سـتحمِلُنا الريـاح إلى كل مـا لا تشـتهيه سُـفننا ، سـيُصعقنا الزمـان وتُبكينـا الظـروف حتـى تحمِلُنـا إلى عـالم أخـر. حيـث الإدراك المنتظـر..

# مُصابة بمرضِ حسنها...

أتذكر يوماً عندما كنت في العاشِرة من عُمري حدثني أبي
بأن عالم دواخِلنا قد يتسربُ إلى الخارج و يعكسُ كثيرُ مِنا.
أخبرني بأننا حيناً قد نكونُ مرآةُ تنسخُ من الداخل كيّ ترسمهُ على عالم الخارجُ مِنا.
لا أنسى حقاً حينما أخبرني بأننا قدْ نخفي ما بداخِلنا وندّعي بكل ما هو نقيضه لكننا كثيراً نفشل في ذاك حتى أن شيئاً شيئاً من الداخل يبدأُ في التسرُبِ رغماً عن كل ما ندعيهّ حقاً.
كان يُخبرني بأن صِفاتُنا وأفكارنا قد تتسربُ وتتضحُ على ملامِحنا دون اقل رغبة لنا في ذلك ،
حتى أن مشاعِرُنا قد تتسربُ و تتضحُ داخل بؤره أعيننا وتتحكم في اتساع تلك الحدقة رُغماً عنا.
لكنني أتذكر جيداً بأنه لم يُخبِرُني بأن القاعدة لا تنفي شيئاً وإن كان جمالاً.
أدركتُ حقاً بأن أبي كان على كامل الحق ، و أن كل ما بداخِلنا يتسربُ إلينا وإن كان جمالنا المدسوس بنا ،
عندما أخبرتني حبيبتيّ بأنها مُصابة بمرضِ السُكر.
لمّ أكنّ أُدرك بأنّها لذيذةُ حد أن فائضاً من السُكر قررّ أن يُغزيها

مرضاً!
كنت أعيّ بأنها حُلوة كالسكر ، لكنني لم أعي بأنه سيُحبها حدّ كامل الاستقرارِ داخل خلايا جسدِها.
أُذكرُ بأنني دوماً كُنت أُظنها حلوى ، شيئاً لذيذاً و قالِباً من الجمال ، كانت جميلة بدرجه تفوق الخيالّ و المنطِق !
لكن جزءاً منيّ قد هُزم عندما أدركت كامل انتصار لذيذّها على جسدِها.
كان يخيلُ لي بأنها قد أُصيبت بجزء من جمالِها ، و أن ذاك المرضُ ما هو إلا جزءاً من حُسنها تراكمّ بالداخل منها.
كنت أعتقدُ بأن خلاياها صارتّ عنباً من غزو ذاك السُكر ،
أو رُبما قد تحولت نبيذاً ،
كنت أظن بأن جسدها قد صارّ قالباً من الحلوى على حين غفلة منها.
لمّ أكن لأدرك بحقيقة أنها مرضت بقدر ما كنت أدرك بأن فائض حسنها قد قررّ الظهورُ فجأة.
كانتّ جميع تحاليلها ونتائجُها تثبتُ صحة حُسنها الذي يتضخم يوماً بعد يوم ، حتى أن سُكر جسدِها أسماهُ الآخرون جلوكوزّ كان يزداد شيئاً ف شيئاً كُلما وُخزِ قلبي مع وخزهّ على إبهامها كيّ تقيسه.
أخبرتني يوماً بأنها يجب أن تكفّ عن تناول الحلوى واللذيذُ من السكاكرُ كيّ لا تزداد مرضاً.

لكنّ حدساً ما بداخلي كان يرى بأنه لم يكن العلاج مُطلقاً ،
كنتُ أعي بأن سكرها نابعُ من الداخل وأنها السكاكرُ بحدِ ذاتِها !
كنتُ أدرك بأنها وإن فعلت هكذا لا شيئاً ما سيحدثُ ، حتى أنني كدت أجزمُ بأن نحلة ما كانت بداخِلها تضعُ نصيباً من العسل لكل خليه من خلاياها ولن تكف عن هذا مُطلقاً.
لا شيئاً جعلني أدرك بأنها مريضة حقاً سوى ذاك الأنسولين الذي كان يُحقنُ جزءاً جزءاً مِنها وما كانّ أمامها سوى عظيم الهدوء .
كان انسولين عنيداً حد أنه أبى الخضوع لجزءاً واحداً كي يُحقن مِنه ، كان قاسياً حقاً ، حتى أنه يوماً كان يختارُ يمينُ ذراعها ويوماً يعجبهُ ذاك اليسار.
حينما وجدتُ كامل جسدها لا يملك سوى كامل الاستسلام لسذاجة ذاك الأنسولين ،
بدأ عقلي بالخضوعّ لمرض الحُسن منها ،
بدأ عقلي الاستسلام لواقع بأنها مريضه بسكرِ جمالِها ،
و أن جزءاً من حُسنها قد ثار حد أنه لن يُسكِته سوى وخز تلك الحُقن المُقيتة.

# صديقٌ لمن لا صديق له...

أن تُصبحَ هامشاً مُحطماً في حياة من هم لك حياة..
أن تملك قلباً طيباً ينجرفُ دوما هُنا وهُناك ، قلباً
يتحطمُ بكلمة ويتراقص فرحاً بكلمة أخرى ؟

أن تصبِح صديقٌ لمن لا صديق له ،
أن تتحدث وتستمع و تناقش وتبتسم وتزيل ألاماً وتطيب جراحا ، أن تغدو آذاناً صاغية على حين غفلة منك ،
مستمعُ جيداً ، فتستمع وتستمع حتى تنحصر في مشاكلهم،
فيرقُ قلبك ، وتتأثر وتحزن وتبكي وتنجرف إلى أعمق الأحزان ، فتتذكر حينها بواجبك ،
فتبتسم وتتحدث وتُدلل وتُناقش ، فتربتُ على يدٍ وتطبطب على كتِف وتفعل ما لا يُفعل حقاً حتى توصِلهم إلى بر الأمان، حتى تحملهم إلى اليقين والرضا ، إلى الأمان و السلام...
فتدور أيامك، ويحين جراحك ، فتحزن و تبكي و تدمعُ أنت..
تغدو كـ عجوزِ مهشما في حياة تلك المارة، كمن لا جود له ، كـ سراب يتلاشى شيئاً فـ شيء ..
تبحثُ دون جدوى عن من كانوا هُنا، أو ربما من كانوا يدعون بأنهم هُنا..

لا شيء..

تعتقـدُ بـأن زنزانـة مـن الغـدر حبسـتهم جميعـاً ، قيـوداً قيـدوا بِهـا بكامـل رغبـة منهـم ، أيـاد تبـدو قـد كُبلـت هُنـا ، و آذان لا تسـتمع هُنـا ، تعتقـد بـأن عقـول قـد خُـدرت هُنـا ، وظـلامُ يتزايـد شيءُ فـشي ..

وكان دُنيـا مـن الأشـغال والأعـمال ألهتهـم جميعـاً ، وظـروفٌ تبـدو هُنـا وهُنـاك ..

حينهـا فقـط سـتعيّ ، بأنـك ليـس سـوى هامشـاً مُحطـماً في حيـاة مـن هـم لـك حيـاة.

# متلازمة عمقِ التفكير...

قد تُصاب بابتلاء يتسللُ بداخلك رويداً رويداً ،
يتكاثر يوماً بعد يوم دون جدوى ، يغزو كلك قبل بعضك ،
يُنهيك جزءاً جزءاً ،
أنه إدمان التفكير وتحليل أصغر التفاصيل .

هُنا شخصٌ مصابٌ بمتلازمة عمقِ التفكير والتحليل الشديد .
حقا أسوء ما قد تُصاب به هو أن تملِكُ وجهاً هادئاً بالخارج ، وبركاناً من الأفكار ثائراً بالداخل .
أن تملِكُ عقلاً لا يكُف عن التفكير بكل ما يستحق وما لا يستحق، حتى تظن لوهلة بأنه خُلقَ لتحليل كل صغيرة وكبيرة، يتأملُ التفاصيل ويتمعن بالكلمات كلمةً كلمةً ، يُفسر كل ما يجري حوله ، يبحث عن كل ما قد يقوده لحقيقة لو رُبما لأشباه حقائق , بركاناً ثائراً لايهدأ أبدأ .
أسوء ما قد تُبتلى به هو أن تهوى في بئر من التفكير الشديد، تتأملُ كثيراً و تحلقُ بأفكارك إلى ما قد يجعلك فوق السحاب تارة ، وما قد يُنهيك و يُميتك تارةأخرى . أن تبحث كثيراً عن أسباب كل ما يجري هُنا وهناك ، تبحث بشغف إلى أن تجدُ ما

قـد لا يُرضيـك أبـدا .

أن تسـأل عقلـك مئـات المـرات حتـى تنجـرف إلى دوامـة مـن التسـاؤلات لا حـصر لهـا ، ولا تجـد حقـاً مـن يُجيبـك عـن كل مـا قـد يـصرخُ بداخـل عقلـك ، أن تملـك ثائـراً مناضـلاً لا عقـلاً بالمعنـى الأكـثرُ دقـةً .

أن تعشـق التفاصيـل فتهتـم بتحليلهـا ، صغيرهـا وكبيرهـا، تكـترِثُ لكلمـهِ ، فـ تهُـم بتحليلهـا تحليـلاً عميقـاً بحثـاً عـن كل مـا قـد كان يقصُـده ولا يقصـدهُ قائِلُهـا ، تُحلـلُ النظـرات ، المواقـف ، الكلـمات ، تهتـم بنُقطـه في أخـر السـطر ، تُفكِـرُ في كلمـة قـد قيلـت لـك منـذ عـام ، ولا تكـفُ عـن ذلـك أبـدا

# كبرت...

خروجاً من دوامه حزنٍ أجبرت على البقاء فيها ، هرباً من خذلان يتسللُ دوماً رغماً عني ، ابتعادا عن كل ما قد حطمني سابقاً وجعل مني جبلاً حاليا ، أسعى جاهدة أن اقتلع جذوراً من الحزنِ ذابلة من شدة يأسها ، أسعى بأن أحمُل ما تبقى من كل ما قد كان هُنا و ارتحل .

كـبِرتُ حقـاً حتـى إننـي أصبحـت أؤمـنُ بـأن كل معتقداتنـا قـد تتغـير، و كل أفكارنـا قـد تتحطـم ، و كل مشـاعرنا قـد تتحـول ، كبرتُ حتـى أيقنـت بـأن كل علاقتنـا سـتنتهي ، وكل محبـة سـتنقضي، وكل ألمٍ سـيزول وإن طـال الزمـان .

كـبرتُ وعلمـتُ بـأن الحـزن جـزء لا يتجـزأ مِنـا ، وأن البـكاء دومـاً لـن ينفصـل عنـا ، وأن الأيـام لـن تكـن دومـاً كـما نشـتهي .

كـبرت و أيقنـت بـأن المشـكلات سـتصنع المعجـزات ، و أن الفـراق سـيقوي قلوبنـا ، وأن اللـه دومـاً سـيبتلينا ، لأنـه حقـاً يُحبنـا .

كـبرت وأدركـت بـأن قلـوب الأمهـات جنـة مصغـرة ، وأن دعائهـم ورودا تُنبـت حياتنـا فرحـاً ، علمـتُ بـأن غيابهـم مـوتّ عـلى قيـد الحيـاة ، وأن وجودهـم دُنيـا مـن السـلام و الرضـا.

كبرتُ وأيقنت بأن الخير دوماً فيما اختاره الله ،

وأن أُناساً سيحملهم الله بعيداً عنا ، لأنه حقاً يُحبُنا ،
علمتُ بأنهُ سيُبدلهم بـ أناسا كالغيث في أكثر الأوقات جفافاً .
كـبرت حتـى أدركـت بـأن المـوت سـيخذلنا ويـسرق دومـاً أحبابنـا ، وأن الذكريـات ستُهشِـمُ قلوبنـا ضعفـاً ،
علمِـتُ بـأن الدُنيـا ضعـفُ عـلى قـوة ، يـأسِ عـلى أمـل ، حـزن عـلى فـرح ، و تناقـض يبـدو هنـا وهنـاك ،
كـبرت وأدركـت بـأن ابتسـامة قـد تصنـعُ يومنـا ، وكلمةبسـيطة قـد تُحطمـه .
علمـتُ بأنـه قـد نُعطـي أرواحـا لمـن لا يُعطينـا كلمـةّ ، و قـد نعشـق أناسـا تهـوي بُنـا إلى بـئرٍ مـن الخـذلان ، علمـتُ بـأن أشـباحا مـن السـواد تسـيرُ كـ ملائكـة في الأرض ، و أن أُناسـاً مـن الطهـرِ مهشـمين عـلى الرصيـف جانبـا.
كـبرت بمـا يكفـي حتـى أننـي أيقنـت بـأن جميـع البدايـات جميلـة و كل النهايـات قاسـية، علمـت بـأن جميـع أُناسـنا لراحلـون ، ولـن يبقـى لي سـوى إلايّ .

# سافرَ إلى السماء...

أتذكر أُمي عندما أخبرتني يوماً بأن جديّ قد سافرّ إلى السماء وأصبح بجوارّ الله سُبحانه ، اعتقدت وقتها بأن جديّ قد سافرّ برغبته بضعُ أيام و سيعود يوماً ما ، لكنه بعدما وجدتُ أن لعثمة صوت أُمي تقسمُ لي بأن أمر عودتهُ مُحال وأننا يوماً ما نحنُ من سنسافرُ إليه حيثُ لا عودة لمسافر عبر السماء ،أدركتُ بأنها كانت تقصدُ ذاك الموت.

كنتُ أدرك يوماً بعدّ يوم بأن الحياة تتخطفنا واحداً تلو الأخر، وأنه لا بقاءُ دائم في دار العبورِ تلكّ.

كنتُ كلما أُفجعُ بخبرِ رحيلِ أحدهم صوتاً ما بداخلي كانّ يتولدُ ألماً وخوفاً.

لمّ أحاول يوماً أن أفكر في الأمرِ عميقاً إلا بعدما فجعتني الحياة بخبرِ وفاة جدتيّ ، كانّ الأمرُ غريباً بعض الشيء بالنسبة إليّ .

كان مزيجاً من الرهبةِ و عظيم الإيمان يتولدُ بداخليّ كُلما حاولتُ التعمق في الأمرِ كثيراً ،

كُلما حاولتُ تخيل أن روحاً ما بداخليّ سيحينُ لها التسلل رويداً رويداً والخروج من جسديّ بينما لا أرى أماميّ سوى وجه ملك الموتُ يُخبرنيّ بأنه قدّ حانت موتَتي .

كانّت رهبة عظيمة تتولدُ فقط عندما يخيلُ لي بأنني سأُسلبُ مني جزءاً جزءاً و قد تتعلقُ تلكّ الروح في حلقيّ حدّ الاختناق الذي لا خلاصَ مِنه .

لمّ يكنُ عقليّ مُدركاً بأمرِ أن يُنزعُ ما بداخلي من داخلي ولا يبقى لهمُ سوى جسدِ خواء ،

كان يخيلُ لي بأنني رُبما قد أُنازِعُ كثيراً حدّ أن حلقيّ سيصيبهُ عظيم الجفاف وأن عيني ستكتظُ وهناً و أن أطرافي ستتجمدُ سريعاً و ستقررُ يدايّ أن ترتخيّ إلى الأبد و سيُوازيها نبضي الذي قررّ الصمتُ المُريب.

لمّ أكنّ أدركّ كيفّ سأصبح ماضي في يومِ و ليلة ، وكيف سأكون في قائمة الذكريات الراحلة إلى الأبد ، ما كان عقلي قادراً على تخيلُ بأن أجمعيّ سيُسلب مني حتى اسمي سيُؤخذُ وسيبدلُ بتلك الراحِلة .

كنتُ أعتقدُ بأن خلاياي كانت تتعطلُ وشعريّ كان يشيبُ كلما حاولتُ التفكرِ في كل ما سيعقبُ موتتي .

ما كان عقليّ ليُصدقُ بأنني يوماً سأُغسلُ كي أكفنُ بذاك البياض و أُحملُ على الأكتافِ كجثةِ هامدة ،وأنه قبراً سيأويني وتُراباً سيُلقى أكواماً فوق أكوام على جسدي .

كان أمرُ التخيلِ فقط مصاحباً بدموعِ لا حصرّ لها ،

فقطّ عِندما تخيلتُ بأنني سأسمعُ صوتَ قرعِ أقدامِهم يبتعدُ عني بعدما قاموا بواجبهم على أكملِ وجه ، وأن ملكاً ما

سينتظرُ رحيلّ أخرُ من سيرحلّ كيّ يُبدأُ في سؤاليّ عن ربيّ وديني ورسولي.
وأنني بقدرِ أعماليّ سأُجيبُ حقاً ، حتى يُصبحُ القبرُ ذاك روضة من رياض الجنة أو قدّ يصيرُ حفرة من حُفر النار.
ما كان عقلي مُدركاً بأنني سأحاسبُ حقاً على كل حرفِ قبل كلمة ، وكل نية قبل فعل ، وكل عمل قد عملته وكل ذنب قد اقترفته وكل ما قد صنعته يداي.حتى أن شريطُ أيامي سيُعرضُ أمامي بصغائره قبل كبائره.
كان أمراً يقيناً لا يقبلُ الشكّ بأن أعماليّ تلك ستصنعُ موتتي ، وأن بقدرِ ما أفعل سأُلاقيّ في ذاك اليوم.
كان الأمرُ أشبه باليقينِ المُبين ، كأنني كنت أعي بأنني أزرع ما سأجنيهِ يوماً ، كان قلبيّ يشعرُ برهبة لا خلاص مِنها عندما كانت تُذكرني تلك الذاكِرة بكلِ ذنبِ قد إقترفتهُ وكل ركعة لم أُصليها .
لكنني قسماً كنتُ أُدركُ بأنني أكثرُ من يؤمنُ بأن الله رحيمُ بعبادِه و أنه سيُغفرُ ليّ مادام قلبيّ قدّ عزّم على الاتجاه في طريق التوبةِ الخالصة لوجهه.

# صندوق التكبيل...

واحد،اثنين،ثلاثة..

واحد،اثنين،ثلاثة..

هكـذا كان يُـصرخُ صديقـيّ عندمـا قررنـا أن نلعـبّ الغميضـة جميعنـا.

كان للعبـة هدفـاً واحـداً ، هـو أن يجـدُ صديقـي جميعُنـا بعدمـا نختبـئ منـهُ في أكـثر الأماكـنِ خفـاءً .

أتذكـر بأننـي قـد اختبـأت جيـداً حينهـا داخـلِ صنـدوقُ مـن الخشـبِ وأغلقتـه حتـى يصبـح أمـر إيجـادي مُحـال.

كان مُظلـماً حـد السـوادِ والخـوف ، وازداد رُعبـي رُعبـاً لأننـي كنـت أخـاف الظـلامِ بدرجـة قـد تكـون مبالـغ بهـا .

لكنني بقيتُ مُرغماً في ذلك.

أتذكـر حينهـا قـد أخـبرت نفـسي بأنـه هـو انسـبُ مـكانُ للاختبـاء وسـأكون أنـا المنتـصرُ الأول نهايـةً.

بعدمـا انتهـى صديقـي مـن العـدّ سـمعتُ صـوت ركـض أقدامـه قـد اقـترب نحـوي ، فأدركـتُ بأنـه قـد بـدأ في مهمـة بحثِـه المنهكـة .

سـمعتُ صـوت ضحكـةّ رفيقـي نـصراً عندمـا حظـاً منـه وجـد ثلاثـاً

مـن رفاقنـا في ذات المـكان ، قلقـتُ قليـلاً، لم يتبقـى سـوى أنـا ورفيقُ أخـر فقـط ، رُبمـا قـد أتـاني الـدور..

مـرّ أقـل مـن دقيقـة وسـمعتّ صـوت ذات الضحكـة منـه بعدمـا وجـد رفيقـي الآخـر.

حسناً، الآن دوريّ..

أذكـرُ بـأن صـوت أقـدام رفيقـي كانـت تقـتربُ تـارة وتبتعـدُ تـارة أخـرى ،

إنه يبحثُ دون جدوى..

مـر الكثـير مـن الوقـتِ و لم يجـدني ، بقيـتُ في الصنـدوقِ رُبمـا لسـاعاتِ لم أكـن أدركهـا حينهـا أو أشـعر بِهـا.

كان صوت رفاقيّ قد ابتعد شيئاً فـ شيئاً ،

اخـبرني عقـلي الصغـيرُ حينهـا بأنهـم يبحثـونّ عنـي في الناحيـة الأخـرى أو رُبمـا في الطريـق المـوازي لنـا .

بقيتُ وقتاً إضافيا ، فرصة مني له كي يجدنيّ وينتصر.

لكننـي اذكـرُ بـأن قلبـي وسـوّس لي -خوفـاً-أن أخـرجَ وأنتـصرُ وأضحـك أنـا ضحكتـه تلـك.

خرجـتُ بعدمـا أزلـت غطـاءّ الصنـدوقِ بسرعـة كي يُصـدم عظيـم ذكائي عقولهـم وصرخـتُ بصرخـة

-أنا هُنا-!!!

رُبمـا الحركـة لم تكـن بتلـك الأهميـة ولم تُقابـل سـوى بـ -لاشيء يُذكـر- حتـى أننـي اذكـر حينهـا انـه مـا وجـدتُ أحـدا قـط و كان

الطريـقُ عـاريّ مـن الرِفـاق.

ركضـتُ إلى الناحيـة الأخـرى وبـين الأزقـة والطرقـات كيّ أخبرهـم بأننـي المنتـصر / لكننـي قسـماً لم أجدهـم!!
بحثت في كل مكان ،
على الأرصفة ، بين الطرقات وبين المنازل الصغيرة !
مـا كانّ أمامـي سـوى أن أحمـل خيبتـي و أعـود بِهـا إلى المنـزل بعدمـا أعلنـت شـفتي السُـفلى كامـل حزنهـا للحيـاة.
أتذكـر جيـداً انـه في اليـومِ التـالي عندمـا طـرق رفيقـي بـاب منزلنـا الصغـير كي يُخـبرني أن نلعـب معـاً ، أجبتـه بصرامـة بأننـي لا أرغـبُ اللعـب معـه وأننـي حزيـنُ منـهُ إلى الأبـد.
لم يُفـسر عقـل صديقـي سـبب حُـزني ذاك حتـى أنـه سـألني عـن السـبب بـكل دهشـة وذهـول ،
أخبرتـه بأنـهُ تركنـي في الصنـدوق بمفـردي في الأمـس و لم يبحـث عنـي جيـداً.
بـرر حينهـا رفيقـي بأنـه بحـث عنـي حقـاً لكنـهُ لم يجـدني، فرحـل ظنـاً منـه بأننـي قـد رحلـت وذهبـت.

المُدهش حقاً..
بأنـه كيـف لعقـلي البائـس ذاك أن يتذكـر تفاصيـل هـذا الموقـف جيـداً هكـذا وأنـا بالـغُ مـن العمـرِ مـا يفـوق السـبع وعشرون يأسـاً.

و كيـف بأننـي لم أتعلـم الـدرس العظيـم مـن ذاك الموقـف سـوى الآن بعـد مـا يُقـارب عـشرون سـنة عـلى مُـروره ويـوم واحـد مـن رحيلـك عنـي ؟

بعـدّ أن أعـادت الحيـاة الموقـف ذاتـه لي كي أخـرج منـه هـذه المـرة أسـتاذا حتـى لا تصفعنـي بـه للمـرة الثالثـة.

رُبما قد جُبلتُ منذ الصغرِ على هذا ،

أن أُحبـسُ في صنـدوقِ مشـاعِري وأكبـل بداخِلـه رُغـماً عـن أنـفِ دلال خـوفي وأنتظـرُ ألفـاً وأمنـحُ فرصـاً ألفـين حتـى يرحلـونّ وأبقـى أنـا مكبـلُ بالداخـل.

لا أدرك هـل للطبائـع أن تتغـيرُ لم لا ، لكنـه قسـماً يجـبّ عليهـا أن تُدفـن لا تتغـيرُ فحسـب.

اذكـرُ جيـداً عندمـا كبلـتُ كامـل رغبتـيّ بـكل شيء تِجاهـك بداخـلي فحبسـتُ مشـاعري وقيـدتُ كلـماتي وأخفيـت نبضـاتيّ ولم أظهـرُ لـك سـوى أطـراف الصنـدوق الخشـبيّ كي تعـثر عليـه وتجـدني .

قيـدتُ مئـات أُريـدك وألافـاً مـن أُحبـك وأكوامـا مـن هيامـاً لا يُعـد و انتظرتـك تفتـح الصنـدوق عنّـي .

لم أكـن أدرك بـأن أطـراف صنـدوق مشـاعري قـد كانـت شـفافة للحـد الـذي لا يُـرى حتـى تجـده أنـت ، لم أكـن أعـي حينهـا بأنـه سـيبقى مُغلقـاً إن لم أفتحـهُ أنـا و أظهـره لـك.

كان صندوقُ صدري أكثر وحشة من صندوق الطفولة ذاك.

فـكل كلـماتي قـد لا تصـف لـك مـدى شـعورِك بالعجـز أمـام كلمـه

-أُحبك- مُقيدهُ تصرخُ تُريد كامل الإفراج العظيم .
قد لا أدرك كيف سأصف لك وحشه ذاك شعورّ ،لكنه ؟
قسماً لن أجد في حياتيٌ كلها أيام أصعبُ من أياماً أجبرت فيها قلبي على كل يُريده عقلي و أخفيت عنك كامل شعوري لك .
حقاً لم أجدأصعب من إخفاءحقيقة الشعورِ والتمثيلُ بكل ما هو مُناقض ،
لا أصعب من أن تُكبلني الكلمات و تُقيدني المشاعر ، حتى أُظهر لك بأنك عادي في عين القلب وأنني لا اكترثُ لأقل قليلِ منك في حين انه في الوقت ذاتِه كنت اكترث حتى لفتحة الحرف الثالث من اسمك .
كانت أكثر أيامي صعوبة عندما أجبرت لِساني على التثاقل كي لا يُزل يوماً و يخبرك بما قد قيِدّ رغماً عن انف قلبي.
بقيتُ وحيداً ،
وحيداً حد الصندوق المُخيف ، حد أنني لم أجد حوليّ سوى كلماتِ منتحرة و مشاعرِ موءودة و ظلام أبدي لا آخر له.
علمتُ بأن يداك لن تمسّ صندوق التكبيل ذاك ،
و أنني قد أذنبت في حقِ كل ما قد كُبل
و ها أنا أُعاقب داخل صندوقي برحيلك المتوقع.

# مختلِفٌ أنت...

مختلفٌ جداً بطريقةٍ لا يُمكن وصفها ..
يشتد صراعي مع أبجديتي ، التي تقفُ دوماً عاجزة تماماً أمام وصفك ، تتشبثُ بأحرف مُحطمة من شده خجلها ، تقف على أقداممبتورة من عجزها ، لكنها تُحاول ..

مختلِفُ أنت.. كـ تلك الزهرة الحمراء التي تأسر قلبك بمفردها، وسط باقة كبيرة من الإزهار ..
كـ غيث غزير اقتحم أرضُ تبكي من جفافها لأعوام ..
كـ لحظة تجرأ فيها مُحبٍكي يعترف بما يحمله في صدره ، ومن شدة جمال تلك اللحظة ، اعترف الأخر بأضعاف ما اعترفه هو..
ككِتابِ مُميزُ على الطاولة بينما البقية بين أتربة الرفوف ..
كذاك السطر الذي تقرأه مرة ، فيقع في قلبك ، عقلك ، ثم يأسُرك كُلك..
مختلف بطريقة جميلة ..

كفتـاة سـمراء تملـك عينـان زرقاوتـان .. تجعلـك تتنهـد رغـماً عنـك، وتبتسـم ..

كـ لوحـة تغمرهـا ألـوان الحيـاة كلهـا، تمنحـك دفعـة جـمالٍ دون أن تشـعر ..

كـ بُـكاء مولـود أول طـال انتظـاره ، طـال انتظـاره كثـيراً ، حتـى فُقِـد الأمـل ..

كـ عودةِ غائب من سفر طويل ،

كـ تنهيدة العناق الأول ،

كـ هدفِ في الدقيقة التسعين...

كـ اختلاف كل ما قد ذُكر ،

قسما انك مُختلِفُ عنهم ...

# أتذكر صوتّ أمي...

في ذاكرةٍ محطمه داخل جسدِ منهمك ،
تتلاشي ذكريات رماد تناثر هُنا و هناك ،
صراخ تزايد شيئاً ف شيئاً ، حروبٍ توالدت يوماً بعد
يومِ، قنابِلُ لا تهدئ أبدا ، و ألغام تُزرعُ بيننا ،
وما لنا سوى الدعاء بالخلاص .

أسعى بأن أحطم ذكريات بائسة من صندوق ذاكرتي ، أحاول جاهدهٍ ولكنني عند نهاية المطاف أجد بأنني أنا من سيتحطم من شِدة الفقد .

أتذكر صوتّ أمي عندما أخبرتني بأنها حربُ لن تتجاوز حدود أيام قليلهٍ .

أتذكر جيداً عندما حدثتني بأن بلاد العربِ ستفيق ولو بعد حين ، وأن عروبة تسري بدمائنا ستستفيق من ذاك الإنعاش الأبدي ، وإن دمائُنا وأجسادنا مصونة لن تُمس ،وان ألغام لن تُزرعُ هُنا ، و أن لا صوت لانفجار سيتضخم هُنا ، ولا أمواتا ستُدفن هباءً هُنا ، أخبرتني أمي بأنه لا أطفالا ستبكي جوعاً ، ولا دموعاً ستُذرف فقداً ، ولا حروباً ستقام ألما ، ولا قلوباً ستموت وجعاً ، ولن يتجرأ علينا احد .

ظننت بأن عالماً من السلام سيحفنا ، عالم من الأمان سيحيطُ بِنا ، ورواداً من الأمل ستُزرع هُنا ، حدائِق من الفُل ستُنبت جانباً ، عالم من الجمال والسعادة لا دون ذلك

لكنني ذُهلت بلُغِمٍ انفجر بجانبك جعلني أتناسى أمر حدائِقُنا سريعاً ،

ذُهِلتُ بانفجار حطم قلبي دون سابق إنذار ، اقتربتُ كثيراً علّني أصلح ما قد حطمه ذاك اللغم ،

علنّي أجد بقايا لنبضٍ في أيسرك ، علّني أفيق من تلك الغفوةالقاتلة ، علّني أجدك بجانبي ..

ولكن دون جدوى ..

دماء تتناثرُ هُنا وهُناك ،

نبضُ يتلاشي شيئاً فشيئاً ،

صوتُ يتخافت حد الوجع ،

ولا إله إلا الله تعلو ...

وسلام الله على روحك يا أمي.

# و حال الاُمه يُبكينا..

وحيدٌ صِرتُ في بلدي ،
حزينٌ ابكي في داري ، غريبً كنتُ في داري ،
جهلتُ الدارَ والمنزلْ ، جهلتُ الأرض والوطنَ ، جهلتُ
الحُبَ والأمن ، جهلت عروبة الاُمه ، وصارَ يقينُنا بالعجز.

وصـارَ يقينـي بالغربـة ، غريـبٌ صِرتُ في داري ، أُقلِـبُ كل إسراري ، أعيـد بذكريـاتِ الأمـس ، وتبـكي جوارحـي باليـأسْ ، وتبـكي الـدارَ للوحـدة ، وأدعـو اللـهَ في السـجدة ؟

يعيدُ الله اُمتِنا ، تعود عروبة الماضي .

أُقلِبُ بين أفكاري ، أجول الدارَ والمسكن ،

فصـوتُ الوحـدة يخنِقُنـي ، وصـوتُ هـدوءُ حارتُنـا ، وفقـدُ لصـوتِ والـدتي ، وصـوتُ العـمَ والجـارَ ، صيـاحُ الطفـلَ افقُـده ، بـكاءُ ، صريـخُ ، يُؤنسـني ، فأيـنَ الصـوت يـا ربي ؟

وأيـن حبيبـةَ الـدربِ ؟ و أيـنَ الأم والجـارَ ؟ وصـوتُ الطـيرَ في الحارة؟ شـهادة ربي تجمعهـم ، جمعنـا اللـه في الجنة .

فأيـنَ عروبـة المـاضي ؟ وأيـن رجولـة المـاضي ؟ وأيـن شـبابُ اُمتِنـا ؟ وأيـن عزيمـة المـاضي ؟

فقدتُ الأم في حربٍ ،

فقدتُ الطفلَ في أسرٍ ،
فقدتُ الخالَ في عجزٍ ،
فقدتُ العمَ في مرضٍ ،
فقدتُ الأمن في وطنٍ ،
وتبقى الأُمه تنتظرُ ، لمنّ يأتي يُحرِكها ، و تبقى الأُمه راقدة ، لمَنّ يأتي ويُنقِذُها ، وتبقى عيونُ نائمة ، وتبقى أذان مغلقةً ، ويبقى لسانُ في فمٍ ،
يخافُ الحقُ ينطُقه ،
وتبقى الدمعة في عينٍ ،
ويبقى الحقُ مدفوناً و صوت الظلم مرفوعاً، وحال الأُمة يئسينا، وحال الأُمه يُبكينا ، وكُل مِنا يتحدث ،
يُردِدُ أين أُمتِنا ، و كُلٌ مِنا لا يبحث ، ويبقى الحال مستترٌ.
ويبقى الوضعُ محسوماً ،
فلن نسمح بتغييرا ، ولن تتحركَ الأُمه ، ولن نتعالى بالهمة ،
ولن ترعانا حُكاما ، و لن تحمينا أوطانا ، ولن نحزنْ لاطفالاً ، ولن نبكي لامواتاً ، ولن تضحك عروبتنا ، ولن تطلُبنا نرعاها ، مئاتَ سنينَ في عجزٍ ، فهل الآن نرعاها ..؟
وتبكي الأمة عاجزة ، ويبقى الحال مستتر...

# هُنا و هُنا ...

**مئاتِ تساؤلات تتضخم بداخلي ..**

أجهلُ ما يحدثُ وما السبب ،

أصبحنا نعيش بين أناس مبهمين حد التساؤل ، غريبين حد التعجب ، أشعرُ بأن نوبة من الجنونِ ستُداهِمُني إن أطلت التفكير بذلك ، أوأنها بالفعلِ قد داهمَتهمّ هم حتى حولتهم لِهذا الشكل ،

أعتقدُ بأنَ موجةً متلازمة من التجرُدِ من كلِ جميلٍ قد حاصرتهم، كـ دوامهٍ غريبة واجهتم، أجبرتهم على البقاءِ فيها، على التغيرِ والتحول ، على التصنُعِ والتطفل ، على الكذبِ والخيانة والتمثيل و الكلام وكل ما لا يمِتُ للإنسانية بِصلة . للأسف ،

لا عذرِ مقنِع لما يجري حولنا ،

أصبحنا كأشباح تملِكُ أشباه أرواح بداخلها ، يكمنُ في أيسرها قلب لا يعرف للرحمة طريق .

كل مِنا يُبدع في التجريح بأسلوبه الخاص ، وكأن هناك من أخبرهم بأن من سيجرح كثيراً ، سيهنئ أخيرا .

فـ أصبح العالمُ كحربُ من تحتِ السلام ،

كعـالم يعلـم كل أناسـه بـأن ظاهرهـم لا يعكـس باطنهم مُطلقـا ، كُلٌ يبـدعُ في التمثيـل الشـديد، حتـى يمِـل تلـك الموهبـة و ينعـزل ، ف نـرى النفـاقُ يسـير عـلى قدميـه، والحـبُ يُخـانُ هُنـا و هنـاك ،هنـاُ تبـدو صداقـه تُبـاع بأرخـص الأثمـان ، وهُنـا كذبـات تنكشـفُ يومـاً بعـد يـوم ، هُنـا ضميرٌ يبـكي عـلى رصيـف منعـزل ، وهُنـا صـوتَ أم اختنـق مـن ندائهـا لهـم ، وهُنـا وهُنـا وهُنـا ...

لا داعِ،،

سـلامُ عـلى أشـباه قلـوبِ تبـدو هاهُنـا تحتـاج أعـمارا فـوق أعمارهالإزالـة غبـار سـوادها مـن عليهـا .

# و يُبعِدُ ذاك الفراق عنكم..

أراكِ غداً ،
في مكاننا المعتاد ،
في الصباح باكراً، قبل الشروق ،
فأنتي الشمس ، و لقيآك شروقيّ أنا.

هكذا كانت الرسالة التي تلقيتُها من ساعي البريد ..
مخطوطه بيديه ، قرأتها ، تهلّل قلبي و انشرح.
- سأرتدي الثوب بلون تعشقه أنت ، وسأضع جديلتي على كتفّي ، كما تحب أنت، سأتزينُ بأبسط ما قد يعجبك ، وسأسعى حقا أن أتناسى أمر العطر ، كي عوضا أتعطر بعطرك أنت.
هذا كل ما قد كان يجول في رأسي ..
وصار الغد ،
تجهز قلبي بمُفرده قبلي ، وسبقني إلى هُناك ..
سرتُ مبتسمة القلب قبل الوجه ، يتطاير ثوبي من فرحته ، حتى أنني ظننت بأن المدينة كلها تبتسم ، أصبح العالم ، عالم من الجمال في بضع دقائق ..

لم أكن اعلم من قبل بأن أكواما من الأزهار تبدو متوردة هُنا ،
ولم أُشاهد تِلك الضحكات في وجوه الأطفال من قبل ، لم المحُ إبداع الرسامين على ذاك الرصيف ذي قبل ، ولم أرى جمال ألوانهم كما رأيتها هذه المرة ،
استمعتُ إلى الموسيقى التي يعزفها دوماً عازف المدينة ، وعشقتها ، أحببتها حد إنني دُهشت من جمالها لوهلة ، أتذكر أنني قد تعجبتُ من رائحة خبزِ مخابز الحيّ ،
واستمعت بالأمطار للمرة الأولى ، وعشقت المدينة كلها ..
وسِرتُ إلى هناك ، حيث مكانُنا يُدعى..
جميل ، وسيمُ ، تأسِرُ القلب ، تُلهِمُني ، كعادتك.
بنظرة تختصر جميع كلمات الشوق والعشق ، هكذا نظرت إلي، فأحمرّ وجهي خجلاً ،
فقُلت أنت كعادتك/ الله أكبر..
أخبرتني حينها بأنك تفقدُ كلمات الغزل وتستبدِلُها بذكر الله ، علّهُ يُبقيني لك..
ورددّ قلبي ألاف الأمييين ..
بين موسيقى تبدو هادئة ،
في ذاك المكان ، حيث الورود تحيطه ، تناولنا القهوة سوياً ، فكنت وكأنني أتذوقها للمرةالأولى ،
جميله كجمالك..
بعدها ، تجولنا معاً ، في أرض الجمال ، يداك تحتضن يدايّ ،

وأمـان العـالم في كـفِ ..
تجولنـا حتـى جـاءت طفلـة تبـدو بائعـه للـورد، تتوسـل بـأن نأخـذه منهـا، فقالـت مـا أسر قلبـي، و قلبُـك ..
يُبقيكم ربي دوماً سوياً ، و يُبعِدُ ذاك الفراق عنكم..
ابتسـمتُ أنـا ، وآخـذت أنـت كل تلـك الأزهـار منهـا و أخبرتنـي حينهـا بـأن أزهـار العـالم أجمـع لا تكفـي لتهديهـا لأجـلي ..
أسرتني ، ملكتنيّ ، دوماً هكذا تفعل ...
تجولنـا سـوياً ، حتـى غابـت تلـك الشـمس ، وانتهـى موعدنـا ، ارتبـك قلبـي حينهـا واشـتاق إليـك حتـى قبـل أن تذهـب أنـت ، أدركـت حينهـا بـأن سـعادتي حقـاً قـد تكمُـن في لقائـك فقـط.

# إلى حُبك...

بكامل قواي العقلية ..
وبرضا كاملٌ من قلبي ،
وبرغبة عظيمه من داخلي ..
سِرتُ إلى طريق حبك ..

بخُطى واثقة من شده ثباتها .. بِلا أقدام ضالة لا تُدرك كيف لتتجه ..
بِلا أيادي تبدو مُكبلهٍ من عجزها ، بلا أعين مغلقه من هولِ دقات تكمن في القلب ، وبِلا قلبِ تابِعُ لمشاعره دون وعيّ ومنطق ...
بكُلِ وعيّ اعرفه ، خطوت إلى ذاك الحُب ..
بحُريه كطيرِ يُحلق بكل أريحيه في سماءِ يعلم حقاً بأنها موطِنُه الحقيقيّ ، ‹الأمِنُ› بوصفِه الأكثر دِقةً .
سرتُ كمَن يعلم كيف يسير و لِما يتجه ، كمَن يُدرِكُ حقاً أين سينتهي ، كمَن بدأ بتلك الخطوة الأولى في الطريق المؤدي إلى سعادته ، ‹إلى حُبك› ، بثبات كأنه يُدرك بأن الخطوة الاخيرة ستكون حُباً لا ندماً على ما سار لأجله..

بِكُل منطق أعرفه ..
أدركت بأن كل الخطوات إلى حبكَ لا تحوي ..
حُبُ اعمي ، عينُ مغلقه ، قلبٌ مُكبّلٌ ، و لا عقلُ جاهِل..
كان العقل والقلب والمنطق لكّ وحدك ، معكّ ، ولأجلك ..
حينها ، أدركت بأن كل ما أعرفه من أفكار ، أشخاص ، منطقُ ، مشاعِرُ ، يقودني فقط إليك..
بكلِ يقين ،
خطوتُ بجُرأه عقلُ ، و مشاعر قلبٌ ، و ثبات حُبٌ ،
إليك.

# عودي يا أمي...

**بلسان طفل قد ذُهل ، بفراق جنة دنيته**

عودي ، أفيقي يا جنتي .

عودي حبيبةَ دُنيتيّ ،

فالبيتُ مشتاقٌ هُنا ، و أنا حزينٌ بَعدَكِ ،

هيا يا أمي اسمعيّ ، عودي أفيقي أريدك ،

هيا اذرُفي نفساً جميلاً. و افتحي تلكَ العيون ،

هيا تعالي لدنيتي ، وكلَ شيٍ قد يهون .

عودي حبيبةَ دُنيتي ، قد بِتُ ندمان هُنا ،

اجلس وحيدا باكياً ، تالله ندمان أنا

عودي فأسمعُ كلِمَتك ،

عودي أجفف دمعتكْ ،

عودي أُقبِلُ كفّكِ و احتضن تلك العيون .

عودي يا أمي اسمعي ، والله إني أُحبكِ ،

هيا اسمعيني ؟ أُحبُكِ !

لا تبحثي عن حبُكِ بدلال مزق قلبنا ،

والله أنتِ الغالية ،

قسما بأنك غالية..
عودي حبيبةَ دُنيتيّ ، فأقولُ حسناً حاضرّ ،
سأقول دوماً حاضرٌ ،
سأنفذ ما تطلبين وكل ما قد ترغبين ،
هيا تعالي أريدك .
عودي يا أمي ، طِفلتِكّ ،
شابت فأبكت قلبِنا ؟
عودي يا أمي جارتِك ؟
تبكي حزينة لحالنا ؟
عودي فقد لبسوا السَوادّ ، و أخبروني بموتك !
هيا يا أمي ارجعي ، هيا اثبتي لنا صِدقَكِ ؟
فعزاءُ قد يبدو هنا ، ونساءُ تبكي هاهُنا ،
وسوادُ يبدو سائداً ، و أخي هنا لكِ فاقدٌ
و دموعَ عيني محنطه ، هيا يا أمي اسمعي !
عودي يا أمي بيتنا ، أجمل من القبر الصغير ؟.
عودي هنا ؟
فعباءتك ، عطرك ، ربيعك ، زهرتك ،
طفلك ، صغيرك ، وردتك ؟
يئسوا على رفٍ حزينٍ آملينَ بعودتك .

# فراقك...

حقيقة لا أدرك مدى عمق تلك النوبةالتي ببساطه جعلت منك شخصاً جديدا أخرا لا اعرف ولو جزءا صغيرا منه، أجهل أين ترنح من كان يهتم حتى يَمِله الاهتمام ؟ أجهل حقا أي خمره شعور قد اثملته لذلك الحد حتى جعلته طريح الأرض لا يقوى سوى كامل اللامقاومة لمنحدر الابتعاد المقيت .

أشعر وكأنك كالغصة التي بقيت عالقة في جوفي ولا أجد حلا لها, كأنني أقاوم كابوسا مزعجا بأيادي مبتورة وقوة منعدمة . واقعا وحزنا؟

أظن بأنني فارقت الحياة بعد فراقك ، وكأنك رحلت بي ولم تترك لي هُنا سوى بقايا مبعثرة كانت لذكريات مُتعبةٌ ماضية. ثقلت الأيام على عاتقي و اشتدت ، وكأن الوقت قرر ألا يُكمل في مساره ، والأيام توقفت عن وتيرتها ، والساعات ملت عقاربها، والدقائق أضاعت طُرُقِها ، والعُمر توقف عند ذلك اليوم .

اشعر وكأن الحياة عجزت عن الاستمرار من بعدك ، و كأن عالمي رافض للتجدد منذ ذاك اليوم ، وكأن كونٌ يبدو هُنا قرر بأن يُنهي مهمته و يبقى بجانبي ، هُنا على رصيف الفراق ، لينتظر معي وقت عودتك .

حقا أظن وكأن الدُنيا توقفت لوهلة ،
أي أن الحياة سكنت ، البشر تحنطت ، الضوضاء ذهبت ، والهدوء عم أرجاء المكان ، و كأن كل من حولي يُشاركني عزاء فقدك ، وكأن العالم اجمع قرر بأن يقيم أياما حداد على قصه الحب الضائعة تلك .

ودعتني أنت عند ذلك المكان ، منذ ما يفوق الاشهر الكثيرة، ها أنا-شوقا-أجد سيقان الحنين تحملني إلى تلك الناحية ، تُسير بي إلى ذلك المكان ، و تُجلِسُني على رصيف الفراق ، لازال الرصيف كما هو ، والبحرُ كما هو ، والأزهار التي أحببتها كثيراً لازالت كما هي ، السماء التي لطالما حلفت بأنك بحجمها تعشقني لازالت هي، طيور البهجة والتغريد مازالتتحلق غصة في جوف السماء ، وأنا كما أنا ،

وقلبٌ محطم بفراقك بين أضلعي يبقى كما هو ،
ويدٍ تبقى مُمسكه بالأخرى كي لا يمسكها سواك تبقى كما هي،
عالم كان يحيطنا يوم فراقنا في ذلك المكان ،
لازال بكل تفاصيله يحيطني بمفردي ،
الأشياء , الحركات , الأناس و الأفراد..
لا شي حقا تغير ، كل ما قد كان وقت رحيلك مازال كما هو ،
سواك أنت وقلبك .

# أقرباء الخشب...

كانوا شظايا ،
زجاجاً متناثرا ورصاصاً مُندفع ،
لم يكونوا أقرباء قط.

لم أكن أعي بأن جديّ عندما اخبرني بأن الأقرباء سند يبقى دوماً خلف ظهورِنا بأنه كان يقصد طعنهم لذاك الظهر حدّ الانحناء المُريب.

رُبما قد كان عقلي صغيراً للحد الذي لم يجعلني أتمكن من فهم عمق ما قد اخبرني به جدي .

لكنني بعدما وجدت أن الخوض معهم أشبه تماماً بالسير حافية على قطعِ من الزجاج المُتناثر ، بل كان الوضع أكثر حدة من ذلك ، كأن مع كل كلمة منهم محاولة بائسة مني لتقليل ألم وخز ذاك الزجاج ، بعدما وجدتُ أنهم خشب ،

خشبٌ كلما حاولت التقرب منه حُشرتُ قطعه صغيره منه بين حلقي كالغصة العالقة ألما ، كنت كُلما اقتربت أكثر وجدت الخشب لا شيء ، لاشيء حقاً سوى نشارة بقيّت منها كيّ تُوخزُ هُنا و توجِعُ هُناك.

كان الأمرُ معقداً بعض الشيء ،

حتى أنني تساءلت يوماً هل هم بالفعل أقرباء لي أم انهُ

مجـرد تشـابُه في نهايـة أسـمائنا و بعـض مـن ملامِحُنـا.
كنت أعي أن خطأً ما في الأمر كان يحدث !
حتـى أننـي إلى يومنـا هـذا لم أدرك بعـد علاقتهـم بأمـورِ كثـيرة في حياتِنـا .
لرُبمـا إلى الآن لم يتمكـن عقـلي مـن فهـم مـا علاقتهـم بأُمـي وطريقـة معاملتهـا لنا ،
لم أدرك لمّ كان لا يُعجبهـم إي مـا قـد تفعلـهُ أمـي ، وكأن أمـيّ كانـت نـاراً لهـم كلـما رأوهـا تصببـوا عرقـاً مـن حـرارة جمـره الغـيرة المشـتعلة تلـك .
كأنهـا كانـت شـيطاناً.. لا تفعـل إلا حرامـاً ولا تقـول إلا كذبـاً ، ولا تحمـل ذره مـن النوايـا الصافيـة.
أعتقـد بأنـه إلى يومـي هـذا لـن أتمكـن مـن فهـم مـا الجريمـة التـي قـد فعلتهـا أمـي حتـى تشـتعل جمرتهـم تلـك بهـذه الدرجـة.
أظـن بأنـه لـن يشـاء لي ربي أن أفهـم مـا كانـت علاقتهـم بثـوبي الجميـل ذاك الـذي ألبسـته لي أمـي عندمـا كنـت في السادسـة مـن عُمـري ، ولم يحـين لي أن اسـتوعبّ مـا هـي مشـكلتهم التـي كانـت بينهـم وبـين أول هاتـف اشـتراه لي أبي.
لم أكن لأدرك بأن هاتفي كان مختلفاً حقاً ،
مختلفـاً حتـى انـه كان -ضياعـاً حرامـاً لا يجـوز لعمـري ذاك - بينـما هواتِـف أبنائهـم بـين أيديهم.
إلى الآن لم اسـتطع فهـم مـا علاقـة عقولهـم بالمقارنـة البحتـة بيننـا

وبين أبنائهم التي بالطبع لا تؤول سوى إلى أننا فشلُ يسيرُ على قدمين أمامهم و أنهم يفوقونا ألفاً أو رُبما ألفين .
لم أكن أدرك بأن تخصص دراستي و وقت تخرجي سيكن يوماً اكبر مشاغلهم ،
لم أكن أعي بأنني سمينة للحد الغير معقول و أنني أو رُبما أمي كُنا نأكل طعام أخي الرفيعُ بعض الشيء.
ولا أعلم ما سرُ ظنهم بأنني قد خُطبت أو رُبما أخطط للزواج ولكنني أُخفي شمعتي تلك كي تقيد .

## حقيقة ،

لم أكن على علم بأن تفاصيل تفاصيلنا كانت تُشغلهم حقاً إلى أن أحدهم سأل ذات السؤال ثلاثة مرات، لي ولأختي و مسبقاً لأُمي.
في الواقع ، كل ما أريد إدراكه حقاً ،
هو لمّ كانوا يعترضون على كل ما نُريده حقا؟ ولِم كان إحسان أُمي لا يُقابل سوى بأعظم الإساءات؟
لا بأس بهذا كله،،
فإن نهاية واحدة تجمع أسمائنا جعلتني أعي حقيقة بأننا أقرباء ،
أقرباء بالدم و الاسم و جزءاً من الملامح..
لكن واقع كل نشارة الخشب التي كانت توخز ألما حد البكاء،

وكل شـظايا الزُجـاج المُبعـثر ذاك كان يجعلنـي أُشـكك في الأمـر!

كُنـت كُلـما اقتربـتُ شـوكة تعلقـت في جـوفي ، وكلـما ابتعـدت شـوكتينّ تعلقـوا عوضـاً عـن واحـدة لا تكفـي كـوني -جفـاء لا يسـأل أبـدا- يسـيرُ عـلى سـاقين.
كأنهـم جبلـوا عـلى أن سـؤالهم عنـا حراماً ، و سـؤالنا عنهـم واجبـاً لا شـك بـه.

لا بأس ،
سنبقى أقرباء رغماً عن انفي و أنفكم وأنف ذاك الزجاج.
طِبتُم خيراً يا أقرباء الخشب.

# يُعطي حيناً و يُحرمُ حيناً أخرا...

أعتقد بأنني فتاةٌ لا تقبلُ السطحيةُ في أي شي، فقدكنتُ دوماً أظن بأنني خُلقتُ للتعمقِ في كل الأمور حتى أصلُ لإدراكِ كل ما كنت أُريده ، أخبرتني أُمي بأنني جُبلت على هذا منذ الصغر ، حتى أنني كنت أسال أسئلة لا إجابات خُلقت لها سوى ذهولِهم و إدراكهم برغبتيّ في التعمقِ .

اذُكـرُ جيـداً عِندمـا كان عقـليّ الصغـير ذاك يضـعُ تحليـلاتِ وتفسـيراتِ ويسـتنتجُ العظيـم مـن الاسـتنتاجات أمـام كل موقـفِ يحـدثُ أمامـه .

عندمـا كُنـت في السـابِعة ، أذكـرُ جيـداً عندمـا كان أبي يغنـيّ لي أغنيتـي المُفضلـة بـكل شـغف إلى أن أكتفـيّ ضحـكاً ، كان عقـلي حينهـا يُخـبرني بأنـه لا يفعـلُ ذاك سـوى لأنـه يُحبنـي .

أيضـا عندمـا كانـت أُمـي تُعيـدُ سرد ذات القصـة التـي كنـت أُحبهـا كل يـومِ إلى أن تصـلُ إلى - و عـاش البطـلُ مـع البطلـة في سـلام- ، كنـت أتعجـبُ قليـلا كيـفّ لهـا ألا تمـلِ مـن سرد ذات القصـة بـذات

التفاصيل كل يوم ؟ و كنتُ أُبرر حينها بأنها لأنها تُحبني تفعل هكذا ،
كنت أتعجب من أُختي عندما كانت دوماً تجمعُ ألعابنا والدُمى ولاتلعبُ سوى عندما ألعب معها ، و عندما أرفض اللعب كانت تترك الدُمى و تجلسُ بجانبي إلى أن أُقرر اللعب، كنتُ أجزمُ بأنها تُحبني حتى أنها تأبى اللعب بمفردها دونّي. ما أذكرهُ حقاً ، بأنني كنتُ فتاة تخافُ الليل والظلام ، كان شيئاً ما يُخبرني بأنه إن كان هُناك صوتُ ما بجانبي ، سيخافُ كل من ينوي إيذائي ليلاً و سيرحل ، أذكرُ جيداً كيف كان صوت جارتي يتزايدُ كل ليلة ، لا أعلمّ أكانت غاضبة إلى الحدِ الذي يجعلني أسمع صوتها من غرفتي أم ما ، لكنني كنت اعتقدُ بأنها تعلم بشأن خيالاتي الصغيرة تلك و كانتّ عمداً ترفع صوتها كل يوم إلى أن اطمئن و أنام فتهدأ ،
كنت أرى حينها بأنه حتى جارتي التي لا تعرفُ الكثيرّ عني تُحبني كثيراً ولا تُريدني أشعر بخوفِ ما.

أيضاً أذكرُ جيداً عندما فتحت صنبور الماء بعدما كان وجهي ممتلئاً بالصابون فتساقطت قطرات الماء واحدة تلو الأخرى حتى انتهت القطراتُ في ذات اللحظة التي انتهيت بها من إزالة صابون وجهي ، كنت أرى بأن قطراتّ الماء أحبتني حتى أنها لم تنته سوى بعدما أدركت بأنني قد انتهيت .

و عندما قُطعت الكهرباءُ ليلا و أشعلتُ شمعة على مكتبيّ ، كنت أرى الشمعة تتلاشى شيئاً ف شيئاً ، ظننتها بأنها تنتحرُ لأجلي ، تأكلُ جزءاً جزءاً منها حتى تُزيل رهبة جزءاً جزءاً بداخلي ، حينها أدركت بأن الشمعة تُحبني للحد الذي لا يُدرك.

عندما كنتُ في السابِعة من عُمري ،
كان عقليّ يُخبرني بأن الجميع يُحبني ، أبي و أمي و أختي و جارتي و حتى شمعتي ، كنت أظن بأن شيئاً ما يُجبرهم على محبتي ، حتى حينها ظننتُ بأن الحب هو أسلوبُ بشري من جميع من اعرفه تجاهي ولن يتغيرّ ذاك الأسلوب مطلقاً.

رُبما المشكلة كانت تكمن هُنا ،
اعتقدُ بان أبي إن كان يوماً نسيّ أن يُغني لي أغنيتي المفضلة ، أو أن أُمي رفضت يوماً قراءة قصتي ، أوأن أختي لعبت يوماً دوني ، أو أن جارتي قررت الهدوء لليلة ، لكنتُ ظننتُ بأن الحبُ يُعطي حيناً و يُحرمُ حيناً أخرا.

لكنت أدركتُ يومها بأنه قد يُحبني شخص ، و يبغضني أخر ، لكنت فهمتُ بأن الحب لا يُمنحُ سوى مِن مَن حقاً يُحبنا ، وأنه ليس كل من يعرفني سيُحبني.
رِبما قد أخطأوا كثيراً في حق قلوبنا عندما مُنِحنا حُباً لا يُضاهى

بــ شيء حتـى ظننـا بـأن الحـبُ سـيُعطى لنـا دوماً.
أخطـأ أبي حـين كان صوتـه يُخـبرني بأنـه لا يُجيـد شـيئاً سـوى أن يُحبنـي ، وأذنبـت أُمـي عندمـا كانـت تُخـبرني دومـاً بأنهـا تُحبنـي وأننـي أجمـل بنـات الأرض ،
أخطـأت صديقـة طفولتـي تلـك عِندمـا أخـبرني نقـاء قلبهـا بـأن الصداقـة لـن تُلـوثُ ولـو بعـد حـين ، و أخطئـت شـمعني عندمـا انتحـرت مـن أجـلي .
رُبمـا عالمـي اجمـع أذنـب كثـيراً في حقـي حتـى وضـع لي ثوابـتُ ظننتهـا لـن تُزعـزعُ ، تحطمـتّ ثـم تلاشـت بعـد موجـه مـن التزعزع المريـبّ الـذي أصابهـا عندمـا كـبرت.

لم أكـن حينـاً لأدرك بأننـي قـد أُواجـه مـن لا يُحبنـي ، أو أننـي قـدّ أُحـبُ مـن لـن يُحبنـي أو مـن يدّعـي بأنـه حقـاً يُحبنـي .

# أعظم ندم...

يحـدُث أن تذهـبُ راكضـاً إلى شـخصٍ مـا مـن شـده الشـوق ، وتعـود مبتـور القدمين .

بكامـل يقينـك ووعيـك و عظيـم حزنـك تعلـم وتـدرك ألفـا بأنـه لا يسـتحق ، تعلـم وتـدرك ألمـا بأنـه قـد نـسى تلكالأيامالتـي قـد كانـت بينكـم ، تعلـم بأنـه رحـل دون سـابق أعـذار ، تـدرك واقـع بأنـه يكتفـي بصـوت دون صوتـك ، و قلبـاً غـير قلبـك ، و شـخصاً آخـرا جديـدا سـواك ، تعلـم بأنـك سـتُجازف كثـيراً إن اتبعـت قلبـك ، إن جرتـك أقـدام الحنـين إليـه ، تـدرك بأنـه سـيحزنك، لا بـل سـيبكيك ، لكنك رغم معرفتك و يقينك بكل هذا ؟

تـردد في داخلـك ، سـأخبره فقـط عـن شـوقي، فقـط بعضـا مـن حنينـي و ارحـل ، لـن اخـسر شـيئاً.

حينها ؟

يجتمـع جميعـك ضـدك ، يضعـف قلبـك ، وتخـور قـواك ، ويشـتد حنينـك ، تُقـرر بـأن تسـتجمع كل طاقاتـك الممكنـة ، أن تحـاول جاهـدا البحـث يمينـاً و يسـارا عـن قـوه تَجُـرُ بقدميـك نحـو مـن اشـتقت إليـه دون نـدم ، تبحـث عـن كلـمات تُعـبر لـه عـن مـدى شـوقك دون ألم ، تسـتجمع كلـمات و ترتبهـا علهـا تصـل إلى قلبـه

قبـل أن تصـل إلى كبريائـك وتمسـه بالحـزن العظيـم ،
تبحث عن حديث قد لا يكون بذاك الأهمية ،
لكنـه قـد يجعلـه يحادثـك ويطيـل حديثـه معـك ، تُقـرر حينهـا بـأن تتشـبث بذلـك الشـعور الـذي يـردد لـك بداخلك
( أخبره عن شوقك ، لن تخسر إذا ) .
تدّعي حينها قوة كاذبة ، أنت أكثر من يعلم بأنك فاقد لها ،
تبحـث عـن تلـك المحادثـة التـي -حزنـا- قـد كانـت في المـاضي وطـن لـك ،
تكتب بأصابع مرتجفة من شدة الخوف على ندم قد يصيبك ،
اشتقت إليك ،
ثـم تضغـط إرسـال سريعـاً وكأنـك تضـع عقلـك عـلى عتبـة طريـق اللامقاومـة العظيمـة والاستسـلام المريـب ،
كي لا تسـمح لـه بـأن يمنحـك بعضـاً مـن نصائحـه أو يمنعـك مـن فعـل ذلـك ،،
يـرد هـو بكلمـه أشـبه بصخـر قـد ألقـاه عـلى قلـب يحـترق مـن شـده ندمـه عـلى كلمـه كتبهـا في وقـت حنـين اليـم ،
يـرد وكأنـه لا شـخص هنـا أطـال البحـث سـاعات عـن قـوة تجعلـه يكتبهـا ويرسـلها لـه ،
كأنـه لا صراعـات تولـدت في داخلـك ولا حروبـا قـد شـنت في جوفـك ولا مشـاعر تصارعـت في باطنـك , ولا عقـلا تعـارك مـع قلبـا في أيـسرك،

ولا انهزاما يبدو هنا وهناك .

يـرد وكأنـه لا قلـبٌ هنـا يبـكي عـلى ضعـف منعـه مـن كتـمان شـوقه في مقـبرة قلبـه ،

يرد وكأنه يُخبرك بأنك مخطئ و لابد أن تندم على ما فعلت ، فتندم ألفا ويعاتبك العقل ألفا أخرى..

وتحلـف حينهـا بأنـك قـد تعلمـت بمـا يكفـي , بأنـك قـد وعيـت واكتفيـت , بانـك وان قتلـت حنينـا و شـوقا لـن تكـرر مـا قـد حدث، لكنـك أسـفا تكـرر خطـأك عنـد أول منعطـف شـوق للمـرة التـي لا تُعـد.

# أحبة الوهم...

ها قد عدُت إلى ما قد بدأت منه ؟
وحيدة وسط أفواج زحام من أشباه أحبه ومخادعين ، منفردة بين جموع أفراد يبدعون في رسم طرق محبه كاذبة وهمية لا تؤدي إلا إلى فراق وهمي لا خلاص منه ،
بكاء مصطنع ، حزن مرتسم ، أهات مفتعله ، وضياع وقت لا أكثر, هذا هو كل ما قد يبدعون فيه إلى أن يحطمونك جزءا جزءا دون إبقاء ولو جزءا واحدا صحيحا على حاله .
ها قد أدركت جيداً فهم ما كان يردده جميعهم وأستنكره أنا
« لا حب في زمننا هذا ، إلا قليل القليل» ،
كنت أقف حاملة سلاح الحب بين يداي وأدافع بكل ما أملك من مشاعر عن ذاك المظلوم الذي ظلما طالما رددوا عنه أنه أصبح نادر ، لا بل منعدم .
ولكن ، ها أنا ندمت على هذا كله ، ندمت على كل تلك المشاعر وكل ذاك الحب ، وكأنني بقدر ما كنت أدافع عنه و استنكر ظلم كلامهم ندمت ندما لن يزول وإن عضضت أصابعي ألفا من الحسرة والألم .
ندمت على كل ما قد كان يقودني إلى الدفاع عن ذلك الحب .
ذلك الحب الفاشل الذي لا يمكن وصفه سوى بأنه حب

ممـرض.
حقـا ممـرض لدرجـة أنـه لا يصيبنـا منـه سـوى حـرارة الغـيرة ، حمى الفـراق ، هـزل المشـاعر ، وسرطـان الخيانة .
في الواقع ،
أظن بأنه مظلوم حقا ، أظنه سليم ،
سـليم جـدا حـد الإدراك بأننـا نحـن المـرضى الذيـن ننقـل لـه عـدوى خياناتنـا وكذباتنـا ومـن ثـم نظلمـه كذبـا .
أقف هُنا ،
لا أرى يمينـا و يسـارا سـوى أزواجـا مـن المحبـين يضحكـون وكأن كل منهـم متيقـن بأنـه حقـاً قـد أحسـن الإختيـار ، بأنـه حقـا نعـم الحبيـب ، وبأنـه قسـما سـيدوم لـه .
تبتسم شفتاي ، و يصرخ داخلي،
أفيقوا يا أحبه الوهم ، فالفراق سيصيب أكثركم ..
هكذا تمتم العقل قبل القلب واللسان...
لا أعلـم هـل تجددنـا أم أن الإصـدار الجديـد في الحـب قـد تطـور حـد الخيانـة ،
إنـه تطـور حـد أنـه أصبـح حـب زمنـي هاتفـي لا يتعـدى حـدود شاشـات الهاتـف ، والمحادثـات الليليـة إلى أن يحاصرهـم الملـل أو يجـدون بديـلا جديـدا ، و مـن ثـم حزنـا ؟
كل يسير في اتجاهه المعاكس بكامل رغبته والإقناع العظيم ،
كلٌ يحمل ماتبقى من قلبه و يغادر .

# أين كان عقلي حينها ؟ ...

ولوهلة ..
تشعر وكأن من كنت تركض لأجله ، أصبحت برغبة كاملة منك تجر أقدامك إلى كل الطرق التي قد لا تؤدي إليه .

ومـن كنـت تسـعد برؤيتـه ، أصبحـت تتـلاشى صدفـه قـد تـأتي بـه إليـك ،فتُعكـر صفـو مزاجـك ،
تشـعر وكان مشـاعرك باتـت سراب ، غبـارٌ يتـلاشى شـيئاً فـ شـيئاً، تحولـت وتبدلـت مشـاعرك تجاهـه إلى ان تعتقـد بأنـه شـخصُ يختلـف عـن مـن كنـت تعرِفـهُ ذي قبـل .
ثم تُسلبُ المشاعر ،
يهـدأُ الحنـين ، ينجـرفُ الشـغف ، ويُقتـل التفكـير ، ويتضخـم بداخلـك سـؤالك المُعتـاد ،
كـم كُنـتُ كفيفـاً ، مُكبـلُ الأيـدي ، منجـرفُ كـ تائـهُ أضـل جميـع خرائِطُـه ، وسـارَ مبتسـماً في طريـق الضيـاع ؟..
ثـم تتحـول أكـوام المشـاعر التـي كادت تنفجـر مـن شـده نُموهـا بداخلـك إلى تسـاؤلات لا أجابـه لهـا ،
ينعـدم الشـعور في لمحـة بـصر ، كـ كفيـف قـضى أيـام حياتـه ظـلام

ثـم أبـصر لوهلـة ، كـ مـن أفـاق مـن كابـوسِ مُزعـج ليحمـد اللـه بأنـه كان حلـماً وانقـضى ،

كـ من اخرج من دوامه مشاعر انجرف بداخلها دون رغبه منه..

فينزع الله بذرة المشاعر التي زُرعتّ بداخلك ، ويُغلقُ القلب ،

ويبـدأ حينهـا العقـل بـدورِه ، فيتفكـر كثـيراً إلى أن يضحـكُ عـلى مشـاعر بلهـاء كانـت بداخلـك ، ويشـعر بمدى سـذاجة مـا كان يرغب بـه قلبـك ، حتـى يصـل لنقطـه تنعـدمُ بهـا جميـع التسـاؤلات ولا يبقـى سـوى ،

أين كان عقلي حينها ؟ ..

نشعر وقتها بمدى قدرةَ ربي و رحمته بِنا .

يسـلُبُ مشـاعرُ لا مـكان لهـا في قلوبِنـا ، ويُقلِـلُ تفكيرنـا ويقتِـلُ شـغفنا ويجعلنـا نُبـصِرُ حينهـا بقلـوب ناضجـة لنـدركُ مـدى سـذاجة مـا كنـا نبـكيّ لأجلـه ، فنحمِـدهُ ونطمـئن.

سبحانهّ ربي

# أعظم ملاك...

**خليطِ بين رهبة طفلِ ودهشتهِ.**

هـذا بالضبـط مـا قـدّ شـعرتِ بِـه عندمـا وجـدتُ أُمـي وللمـرة الأولى تُخفـيّ بكائهـا بصـوتِ يتقطـعُ لتُخـبرنيّ بـأن الحيـاة لا تسـيرُ دومـاً كـما نُريدهـا نحـن.

لا أذكـرّ جيـداً مـا كان السـببُ في هـذا كلـه سـوى إن صـوتّ أبي كان يعلـو شـيئاً فـ شـيئاً ،كان صوتـه يعلـو أكـثر فأكـثر ولا يقابِلـه سـوى دمـوع أمـيّ التـي تتزايـد هـي الأخـرى مـن الجهـة المقابلـة ،

كانـت خاضعـة لا تنطـقُ بحـرف ، ظننـتُ حينهـا بـأن لِسـانها قـد تثاقـلّ داخـلِ فمهـا أو رُبمـا أبـتّ المقاومـة بـلا جـدوى.

بقيّ ذاك المشهدُ لدقائق ،

شـعرتُ حينهـا بـأن خلايـايّ قـد ثـارتّ وإن حزنـاً مـا قـد تسـلل في جـوفي ، وددتُ لـو أن لي قـوة كي أُخـرس فـاه ذاك الموقِـف وأُكتِمـه ، كي أُنهيـه وأزيـلُ آثـار دمعـاتّ أُمـي وحزنهـا ، كيّ أسـكتُ كلـماتّ أبي وأقـاوِم رهبتـي منـه .

لكـن دون جـدوى ، ذاك الواقِـع تحتـم عـلى الصمـت ، كـما صمتـتّ أُمـي هـي الأُخـرى.

ظننتُ لبرهة بأن أبي ليس بوعيه ، أو رُبما قد ثمِل من أثقال تلك الحياة حتى تخدرّ ، كنتُ اختلقُ له أعذاراً أمام عدائيه الموقف الذي أراه ، ولا أجد سوى أن الموقف يزداد عدائية شيئاً ف شيئاً ، كأنه يُلكمُها بكلماتِه تلك ، كان يُرسمُ ندوباً على قلبها قبل وجهها من على بُعد كلمات ،

كأنه يُريد أن يرى كدماتّ من الحزن والاستسلام المريبُ على ملامِحها . أدركت بأنه سيهدأُ و سيصمتُ قليلاً إن أدرك بأنه قد انتصرّ وصار سيدّ الموقف ،

إن رأى كدمه من الانكسارِ و ندبه من الاستسلامِ على وجهها.

كل ما اذكره بأن دهشتي حينها قد تضاعفت ألفين أو يزيد ،

كنت أتسائل برهبة/

ألا كان يُدرك أبي بأن النعمُ لا تُقابل إلا بالحمدِ الوفير؟

كنت مذهل لا أعلم ما يجري ،

لطالما أدركت بأن أمي ملاكاً ، شيئاً جميلاً و واقِعاً لا يُدرك !

كيفّ لها أن تقبل العيش في جحيمه ذاك ؟

أذكرُ جيداً عندما أخبرتني جدتي بأن الملائكة لا تعيش سوى بنعيمِ وافر ورغد عظيم وترف سرمديّ لا حدودا له.

لكنني قد بت أُشكك في مدى صدقِ حديث جدتي ، إنني لا أرى واقِعاً ولا حقيقة تُثبتُ صحة ماقد ثرثرته لي .

ظننت من كلمات جدتي تلك أن الملائكة لا تبكي أبدا ولا تدرك للحزن طريق، ظننتهم لا يبكون سوى من فرط لذة السعادة

الأبديـة .
لكننـي أرى العكـس حقـاً، فـ أُمـي تبـكي حُزنـا و لا تعيـش بـذاك الـترفِ المُنعـم و الـدلالِ المُقـدس !
بـلُ كُبِلـت في زنزانـة مـن الجحيـم داخـل بيتنـا الصغـير ، ولم أجـد ولـو محاولـة واحـده منهـا لفـك قيـودّ تلـك الزنزانـة و الخـروج منها.
يومها تولدت بداخلي رهبه لا حدود لها ،
لم أجـد حقـاً سـبباً يُسـكتُ تسـاؤلات عقـلي التـي جميعهـا تـؤول إلى لِـمَ أمـي لا تُقـاوم ؟
وهل يُمكن لها أن تُقاوِم يوماً ؟
خفـت حقـاً عندمـا وجـدت صـوره أمـي تقـاوم خروجـاً مـن تلـك الزنزانـة لتعـود إلى النعيـم الـذي حدثتنـي بـه جـدتي !
أدركت فقط حينها بأن أُمي ملاكاً مُختلفاً ،
ملاكاً عظيماً للحد الذي لا حد له.
حتـى أنهـا قبلـت جحيمنـا ذاك وبقيـت معنـا في تلـك الزنزانـة ومـا عـادت يومـاً إلى نعيمهـا الأبـدي

# ونحن نقول ذا حُباً ؟ ...

إليك الآتي اسمعني ؛

يموت الحب في زمن ، تشيع به خيانتنا ، ويبقى الحب مادام ، وفاء القلب يجمعنا .

فأين الحب ؟ قد مات !

ظننا الحب كلمات ؟

ظننا الحب أياماً نعيش جمالها عمراً ، كعمر الطفل لا أصغر ، وتُشقي قلوبنا دهراً ، كطول العمرِ، لا أطول .

حسبنا الحب قد أصبح ، كلام مرتبٍ معسول ، كأن الحب قد صار ، كلام يخلو من فعل ، كأن الحب قد أصبح ، رسائل تبدو في هاتف ؟

وان الحب قد أصبح ! لقاء في دُجى ذا الليل ، حسبنا الحب قد حَلّ حرام ربي يمنعه ، وصار حرامُنا حباً ، وصار العُذرَ في حبٍ.

فأين الحب من هذا ؟ أضعنا الحب في جهل ..

فمن يعشق؟

يخاف الله في حبه ، ويدعو الله يبقيهم ، ومن يعشق ؟ يراعي الله في قلبه ، ويعلم كيف يحميهم ،

و من يعشق ؟ يخاف على قلوب أحبها من حزن يُشقيهم ،
ومن يعشق ؟ يصون قلوب قد عشقت و يرجو الله يُبقيهم ،
و من يعشق ؟ يُقبل يوم قد يجمع بأجمل صدفهٍ للقاء ،
و يخشى الله في ذنب ، يكون عقابه بفراق .
فأين الحب يا عالم ؟
فـكان رسـولنا يعشـق ، وكان رسـولنا يهـوى ، وكان يُحـب سـيده، أخذهـا المـوت مـن عُمـره ، فحـزن رسـولنا أعـوام ، ودومـاً كان يذكرهـا ،
ونحن نقول ذا حُباً؟ يدُق القلب في ليله ،
وتبـدأ أجمـل الكلـمات ، كلام الكـذب لا أكـثر ، وحـين نُشـاهدُ الأجمـل ، يـدُق القلـب في ليلـه ،
ويهتف قلبنا في الحين؛
فراق ،فراق ، أنا أرغب ،
يفارق حينها يذهب ،
كأن الدنيا مهزلة ، كأن قلوب لا تنبض ،
كأن الله لن ينصر حبيبُ عاش في دُنيا بقلب منه مطعون .

# ندماً سقيما...

أن تشعرُ بأنك قد كنت هباء ؟
أو كشيء في المنتصِف تُخدعُ كما يشاء ،
فيسلبك جزءاً جزءاً إلى أن تُخدر أكملك ،
يستنفذّك كلك قبل بعضك حتى لا يبقى فيك جزءاً وإن كان بسيطاً.
يحمِل أجزائك تلك ليُنثِرُها ضياع ،ليُنثرها سراب ، ويسيرُ حاملاً بقاياكّ لتحمِله سيقانّ الخيانة إلى حيث ما يشاء قلبه،فيستنفذّك أنت في ذات الوقت الذي يُستنفذُ هو من أُخرى.
يحملُ كلماتِك ليُلقيها على الأخرى ويأخذ كلماتَ تلك الأُخرى إليك .
يسيرُ بجزء منكّ إليها ، ويحملُ جزءاً منها إليك.
يُهديكّ ويهديها الاغنيه ذاتِها ، المشاعرُ ذاتِها ، والكلمات ذاتِها .
كأنه يملك قلبين؟
أو قلباً منقسماً إلى نصفين؟
نصفُ لقديمه لم تعد كافيه ونصفُ لجديدة رُبما ستُكملها ،
يتعايشُ ويتكيفُ مع القلبين في ذات الوقت.
خيانة في أكثر صورها اشمئزازا و تقززاً..
لا أعيّ ما الذي كنت تشعرُ به حينها حقاً ،
ألم تُدرِكك تلك الغصة في الجوف رغماً عنك ؟

ألمٌ يُصفعك صوتُ لضميرك و يُبكيك شعورك بعظيم الخيانة؟
كنت كـ جرح ، كـ ألم ، كـ مرضُ مزمن ،
كـ كدمة ، كـ ندبة، كـ بثرة مزعجة ظهرت للتو ،
هكذا قد كانت قِصة حُبك التي أنهيتها باشمئزاز اختيارك لأخرى جديدة.
رحلت وبقيت قصتك تِلك ك غصةعالقة في ذاك الجوف ،
كأنهـا جـرحُ في وِجـه جميـلِ شـوهته ، كخـطِ أسـوداً متعرجـاً في رسـمة عظيمـة ، كـ مـزق صغـيرفي ثـوبِ جميـلِ ، كنـت كـ ذاك الجـرح و الخـط الأسـود والمـزق في حيـاتي ،
كنتّ كـ أعظم أخطائي وأفشل قراراتي ،
كنـت ندمـاً وإن عضضـتُ أصابعـي ألفـاً لا يـزول ، كنـت ذنبـاً حـين غفلـة وضيـاع ، كنـت شـيئاً مُجـرداً لا يُذكـر!
أو قد يُذكرُ بأنه شعوراً مقززاً ودماً سقيما وعالمُ من الاشمئزاز المُريب أعـيّ حقـاً مـدى عمـقّ كلّ مـا أقولـه عنـك ، لكننـي لا أجـد كلـمات أكـثر اشـمئزازاً مـن كل مـا قـد قيـل .
حسناً لا بأس ، لا أتذكر من هذا كلّه سوى انك خائنُ .
أنا لازلتُ كما أنا ،
لا بل قدّ ازدادت وسامتيّ واشتدت سعادتي بعدما رحلت أنت.
قسـماً بأننـي سـعيدة بأنـك قـد محـوتّ كل ذاك الحـبّ الـذي قـد كان لـك بكامـل رغبتـك ، أزلتـه بعظيـم قدرتـك وسـذاجةأفعالك .
كأنـك اخـترت أن تخـونّ كي تُعطينـي سـبباً منطقيـاً وتبريـراً واقعيـاً للابتعـادِ عنـك مـع كامـل الاقتنـاع .

# مصونة لا تمس...

أعي بأنني من تلك الفئةالقليلة التي لا تُسلمُ قلبها رهينة لعابرِ قد يحطمُ جزءاً منه ليُعطيه لأخراً خلفه و يُكمل الأخر بالتحطيم من حيثُ ما انتهى هو و هكذاً بالتناوبُ حتى يُحطم و يُهزم بأكمله .

لطالما ظننتُ بأن قلبي مصونة لا تمسها بروده أيديهم أو جفاف مشاعرهم .

كنت أرى بأنه لا يخضعُ مطلقاً لعلاقاتِ ولا يتقيدُ بأشخاصِ ولا يُحاطُ بمشاعِر قد تُكبله يوماً.

رُبما هذا ما قدّ جعلني أظن بأنه لا يقبلُ التفاوض ولا يخضعُ للنقاش ، كنتُ كلما شعرتُ بأن شخصاً ما يبدو مختلفاً وأن قلبي قد يكترثُ لأجله ، أغير مساريّ عمداً و أقيم اجتماعاً سرياً في الحالّ طرفاهُ العقل و القلب ،

كانت نتيجة الاجتماع معروفه مسبقاً حتى قبل أن يُعقد ويُقام،كنت أدرك بأن العقل كعادته سينتصرّ و سيخرجُ كماً من المُبررات بأنه لا داعيّ لمشاعرِ الاكتراث و أن المجازفة قد لا تؤول إلا إلى ما قد لا يُعجبنا إطلاقا .

لطالما كنت أفكر بعين العقلِ دوماً و لا أكترثُ لأي ما قد

يصـدرُ مـن قلبـي ، وكأن المتحكـم الوحيـد هُنـا هـو العقـل ، كان هـو المنتـصرُ الأول في كل السـنواتِ التـي مضـت ، كنـتُ أُخـرسُ كل صـوتِ قـد يصـدرهُ قلبـي وأُسـكته و كأنـه ضجيـج ، كنـت أتـلاشى وجـوده بداخـلي ، كنـت أُدرك حقـاً بأننـي مادمـتُ أملـك قـدرة إخـمادِ مشـاعره و إخـراس صوتِـه إذا فـلا داعِ للحـبِ ،
كنت أعي بأن الحبُ حقاً هو ذاك الذي يُصيبُنا كمرض ،
يبتلينا كـ لعنة ،
يتسـللُ بداخِلنـا كـ دواءُ نحتاجـهُ ولا سـبيلُ لمنعـه ، يتغلغـل في كل جـزء بأجسـادِنا و يتكـدسُ في كل خليـه حتـى ينفجـرُ بداخِلنـا ويبقـى حينهـا الاستسـلام هـو سـيّد الموقـف .
كنـتُ أعـي بأننـي مادمـتُ أملك قـدره المقاومـة والاسـتجابة المطلقة لصـوتِ العقـل ودفـنِ مشـاعرِ التـسرع التـي يصدرهـا القلـب بأننـي لـن أُبتـلى بتلـك اللعنـة ولـن أصـاب بـذاك المـرض .
الغريبُ حقاً ، بأنني لم أكن أخاف الحب .
قسـماً بأننـي لا أخافـه مطلقـا ، بـل كنـت أقدسـه ، رُبمـا مـن شِـدة تقديـسي لـه حملـت متـاع قلبـي بعيـداً عنـه كيّ تبقـى صورتـهُ العظيمـة دومـاً هكـذاً ، كنـت أسـير عـلى إطـراف قدمـي بجانبـه خوفـاً مـن أن تطـؤه قدمـي وأصبـحُ مـن النادمـين.
لكننـي أسـفا كنـت أخـاف كل مـا يُحيـط بـه ، كنـت أخـاف تلـك النبضـة الأولى ، أخـاف النظـرة الأولى ، أخـاف الاهتـمام والإكـتراث ، أخـاف النتائـج والعواقـب ، أخـاف التخبـط والهزيمـة ، أخـاف الفقـد

والتعـود ، كنـت أخـاف الفـراق ألفـا والبـكاء ألفـين .
لم أكن أخاف من الحبُ بذاته ، كنت أخاف مؤشراته تلك ،
تلـك التـي تبـدأ باحمـرار وجهـي و لعثمـة كلـماتي وتأتـأة أحـرفي إعجابـاً.
تلـك التـي تلتفـت فيهـا عينـي إكتراثـا لأحدهـم ، وينبـض فيهـا قلبـي نبضـة التعلـق الأولى التـي تسـبِق عاصفـة الحـبُ .
كنت أخاف مشاعِر الحبّ ،
أخـاف جمـرة مـن الغـيرة تشـتعلُ فـوق صـدري ، ولا أجـد مشـاعرُ صادقـة تُخمدهـا ، كنـت أخـاف التعلـق والتشـبث ، أخـاف سـوء الاختيـار والتـسرع ، كنـت أخـاف النـدم حقـاً.
رُبمـا كانـت تلـك هـي كل مُـبرراتي لـكي أجعـل مـن قلبـي مصونـة لا تُمـس ، كنـتُ أبـررُ دومـاً بأنـه لا حاجـة لأشـخاص وعلاقـات وظـروف أن تُقيـده ، كان دومـاً لا يخضـعُ للتقيـدُ والانحصـار.
كنـت أتجنـب عظيـم كل ذاك الخـوف بالهـرب بعيـداً عـن كل مشـاعِري ، كنـت أُقـود قلبـي خلـف عقـلي بكامـل رغبتـي وأتجنـب كل الطـرقُ التـي قـد تجعلـهُ ينبـضُ اهتمامـاً لأحدهـم.

# الحاسة السادسة...

قـرأتُ يومـاً في مقـالاً مـا بـأن لـكل إنسـانِ حـواسُ خمـسُ كيّ يسـتجيبُ مـع كل مـا قـد يُحـاط بِـه ، وأن هنـاك حاسـة سادِسـة قـدّ توصـفُ بالحـدسِ العظيـم قـدّ تُمنـحُ لنـا في بعـضِ الأوقـات كيّ تجعـلُ صـوتّ الشـعورِ يتضخـم بالداخِـل و يُوجهنـا إلى حيـثُ مـا يشـاءُ دون دلائـل مُسـبقة.

كان كل مـا فهمتـهُ مـن ذك المقـالُ بأننـا حينـاً قـد نشـعرُ بأشـياءِ لا تفسـيراً منطقيـاً لهـا ولا تخضـعّ لبراهـين تُثبـتُ صحتهـا ولا نعلـم مـن أيـن حقـاً قـد جـاءت ، إنـه فقـط شـعورُ حتمـيُ نابِـعُ مـن صـوتِ الحـدسّ الـذي لا أسـاسُ منطقـيُ لـه .

كـ تلـك الأصـوات التـي تتولـدُ بداخلـك لتُخـبرك أسـلك هـذا الطريق وتجنـب ذاك ، تلـك التـي تُجـبرّك عـلى عـدم ذهابـّك لمـكانِ مـا فقـط لأن صـوتّ القلـب يُخـبرّك بذلـك .

كـ ذاك الشـعورِ الـذي يتولـدُ خوفـاً عـلى أحدهـم دون سـابق إنـذار لتكتشـفّ في نهايـة المطـافّ بأنـه حقـاً قـد أُصيـب ببـأس .

كانت حاسة الحدس تلكّ تكمنُ في خفاياها التي لا تُدرك ،

فقـد كانـت تتجسـدُ عـلى هيئـة صـوت نابـعُ مـن الداخـل ، صـورة ترسـمُ أمـام عينـك ، حلـماً عابـراً ، إنقباضـة قلبيـة ، شـعور حتمـيّ ،

أو رُبما مجردُ إحساس يُخلقُ بداخلك.
كنت أعي بأنه من الجهل غض الطرفِ عن كل شعورِ حدسيُ يُخلق بالداخل والانسياق خلفَ الحقائق المُدركة فحسب.
كانّ شعوريّ يُخبرني بأنه ما زرعّ الله بداخلي شعوراً ما ، سوى لأنه أراد أن يُخبرني ب شيءٍ ما ،
كـ ذاك الحلمِ الذيّ رأيته يوماً ، كتِلك الجملة التي وقعتّ عيني عليها مُصادفة ، ك أية ظننتها عابِرة و ككل شعورِ صادق نابعُ من القلب.
كانّ عقلي قبلّ قلبي يُخبرني بأن أنساقَ خلف كل رسالة قدّ بعثها الله لي وكل شعورِ قد زرعه بداخلي .
كان الأمرُ شيئاً أشبهُ بالجنون ، كـ منّ يتجهُ إلى حيثُ لا يدريّ فقط استجابة لصوتِ الحدس .
كان حدساً ما وُجد بداخليّ يخبرني بمنّ يُحبني و من لا يفعل ، بعيداً عن جميع كلمات الحب التي تُقال أو تُنطق !
لم يكنُ أمرُ حاستيّ السادِسة تلك مُهماً حقاً إلى أن وجدتُ نفسي بينّ ثلجِ ونار ، كنتُ بين سماءِ وأرض ! أو رُبما ظننتُ حينها بأنني بين حياة و موت.
كان الأمرُ عميقاً بعض الشيء ،
فقد كان حدسي يُقسمُ لي بأنك تُحبني ، و كان المنطقُ يُجزم لي بأنك لا تفعل ، حتى بقيتُ معلقةُ بينّ سمائك و الأرض.
لا أعلمُ لكن حينها أخبرتني حاستيّ بأنك قسماً تفعل ،

كان قلبي وشعوريّ وحدسيّ قد اتفقوا على إقناعي بأنك تفعل وإنك حقاً تُحبني ، حينما أخبرني عالمك أجمع سوى لسانك بأنني مُحالُ أن أكون شخصُ غير مميزُ في عين قلبك .
كانت نظراتك تلك عالمُ يُؤكد صحة حدسي يوماً بعد يوم ، كانت تُخبرني كل يومَ بأنها تُحبني حتى وإن صمتّ ذاك الفاه دوما .
كانت كلماتك ، أفعالك ، طريقتك ، ورُبما صمتك جميعهم يُخبرونني بأنك تفعل .
كنت أعيّ قسماً بأنك تُحبني حدّ اللامنطقُ الخياليّ ، لكنني لم أكنُ لأملك منطِقاً واحداً يُبرهنَ ذاك ولا اقلُ دليلا جازماً .
فقط كنت أتبِع أصوات بداخلي تُصرخُ تارة وتهدئ تارة أُخرى وتجعلُ قلباً بداخليّ بين الحياة والموت!.
كنتُ عِندما أُكذب وأُخبرني بأنني سأتبعُ المنطق وسأنساقُ خلف الواقع متريثاً دون الاكتراث لصوت الشعور ؟
كان الصوتُ حينها يتضخمُ وكأنهُ قد قرر أن يرفع راية الإعتراض العظيم ، كان الصوتُ يتجسدُ داخل حلم يُحملكّ إلى ، داخل كلمة في نصِ يُشبهك ، داخلِ لحن في أُغنية تُعيدك ، وداخل أخرُ سطر في قصيدة كتبت لك .
كان الأمرُ مجهداً بعض الشيء ،
كأنك تُدرك حدساً وشعوراً بأنه يحبكّ حتى وإن أخفى عنك ذاك الحبُ كخطيئة قرر أن لا يُجاهر بِها ، لكنَ العقل و المنطق والأدلة والبراهين جميعها أبتّ أن تؤكدّ لك صحة حدسك ذاك.

# جوار الله...

أتذكر يوماً عندما أفجعتني الحياة بخبرِ وفاة صديقتي التي كانت تبلغُ أحدى و عشرون زهراً.

ما كان أمامي سوى أنني شعرتُ بحزن غير مسبوقّ حتى انه أتذكر يومها لم أكن لأصدِق الخبرّ ظناً مني بأن الحياة كعادتها تمزحُ معي لكن هذه المرة كانت مزحتها ثقيلة بعض الشيء.

كنت أؤمن بالموت حد اليقين ، لكن كان صوتاً ما بداخلي يُخبرني بأنه لا يأخذ مِن الصِغار سوى القِلة فقط ، فهو يُجيد فن تخطفِ أرواح سبعينيةُ ملّت البقاء حتى ملّتها الحياة كيّ يُفسِحُ المجالّ لنا ، نحنُ الصِغار.

أتذكر جيداً ليلتها حين صُعق قلبي حين أخبرتني أُمي أن أدعي لها الثباتُ في السؤال -كونها الآن تُسأل-.

لم أكن لأدركُ بأن الحياة عالمُ من التخبطِ يسيرُ نحو لاشيء ينتهي في يومِ و ليلة.

كنت أُدرك حق الإدراك بأن الحياة جزءاً من كلِ ،

لكنني لم أكن لأعيّ بأن الجزء ينتهي دون مؤشراتِ قلبية ودون أدنى سابِق إنذار مُبين..

كان دوماً يُخبرنيّ حدسيّ بأن للموت علامات نستشعرها جميعنا،

إن لم يكـنُ مـرضُ وتشـبثِ بفـراشِ كان شـعوراً حتميـاً نابعـاً مـن الداخـل بأنـه قـد حانـت موتتُنـا.

كل مـا أتذكـره جيـداً بـأن متاهـة مـن الضيـاع تبـدأُ مـن حيـث تخمـينُ مُريـب وتنتهـي في عـالم مـن الـلاشيء قـد وجـدتُ ذاتي بِهـا في تلـك الليلـة.

لم أكـن لأدرك بـأن أرواحنـا تتخطـفُ بتلـك السرعـة المريبـة ، حتـى أن صديقتـي قـد كانـت بالأمـس معـي ، أصبحـت في العـالم المـوازي لنـا في الحـال .

أذكـرُ بـأن قلبـي قـدُ صعـق و أن عينـاي قـد أذرفـت كـماً مـن الدمـوع عندمـا قـرر عقـلي تخيـلّ تفاصيـل الموقـف المُريـب .

أتذكر بأن عقلي رسم صوره من السواد أمام عيني ،

حقاً سواد لدرجة أن لساني قد تثاقل ولم ينطق سوى/

أستغفرك ربي.

كنـت أعـي بـأن المـوت يعنـي رحيـلاً إلى عـالم قـد يكـون أجمـل أو أشـقى كلُ بِمـا قدمـت يَـداه.

لكنـه يومهـا فقـط أدركـت بـأن للمـوت تفاصيـلُ صغـيرة لـن نُدركهـا إلا عندمـا يُصبـح القلـب خـواءً بعـد فقـد أحدهـم.

أصبح للموت صورة جديدة في عقلي/

كفنُ وقبرُ وملكينّ و وحدة وظلام.

جلستُ حينها على فراشيّ أتخيل الموقف ،

حقـاً لا شـيئاً أصعـب مـن أن تـدرك بـأن للقـبر ليلـة أولى تأخـذ

أحبابنـا مِنـا تجعـل قلوبنـا مقـبرة عـلى قيـد الحيـاة.
كنـت أبـكي ولا أعلـم حقيقـة السـبب في ذاك ، كل مـا أدركـه بأنـه لم يكـن خـوف ، كان يقينـاً إلى حـد الإيمـان العظيـم ، لكـن قلبـي صـار عـراء عندمـا أدركـت بأنهـا تلـك هـي ليلتهـا الأولى في قبرهـا وعـالم جديـدّ لا نعلـم خفاياه حقـاً.
أتذكـر حينهـا بأننـي سـجدتُ كي أدعـي لهـا ، لكـن كل مـاكان يفعلـه جسـدي هـي مراسـم مـن العـزاء تُقـام شـيئاً ف شـيئاً .
حتـى أننـي حينهـا أطلـت في السـجود وحدثـتُ اللـه عـن تفاصيـل ذاك العـزاء ، كنـت أعـي بأنـه لـن يفهـم أحـدا مـاكان في جـوفي سِـواه.
بقيـتُ أدعـي اللـه أن يُثبتهـا عنـد السـؤال ويغفـر كل مـا تقـدم مـن الذنـب لها.
أتذكـر عـلى الرغـم مـن ذاك كلـه ، كان صوتـاً مـا بداخـلي يُخـبرني بـأن أطمـئن ، كأن صوتـاً مـا خُلـق كي يُهـدأ مـن روعـي ويُخـبرني بأنهـا أصبحـت في كنـفِ الرحيـم سـبحانه.
لم أكـن أحـاول أن أتذكـر حسـنات قـد جمعتهـا تشـفعُ لهـا و أعـمالاً مـن الخـير فعلتهـا قـد تُنجيهـا مـن هـولِ مـا قـد تُواجـه.
كان شـيئاً مـا يُحدثنـي بأنهـا بالفعـل قـد نُجيـت حتـى أنهـا اقتربـت كثـيراً مِـن مَـن رحمتِـه لا تتجاهـل نملـة في جـوفِ الأرض.
كنت أبكي لكن شيئاً ما بداخلي كان يكفكف تلك الدموع،
كأن قـد خُلـق يقينـاً صائبـاً لا شـك بـه بـأن جـوار اللـه عـالمُ مـن

الجـمال العظيـم.
كان شـيئاً يُخـبرني بأنهـا ذهبـت لِـما هـو أجمـل، و إن كان الأجمـل ذاك لا يُـرى مِنـه سـوى قـبرُ صغـيرُ و ظـلامُ في منطِقـة عـراء.
كنت أدرك بأن الجمال يكمنُ في الباطن الذي لا يُدرك ،
كانـت ثِقـة تُـرددُ لي بأنـه مـادام اللـه يتكفـل بـكل مـا قـد يعقـب موتهـا ، بأنهـا قسـماً قـد نُجيـت ألفـاً أو يزيـد.

كنـت أعلـم بـأن اللـه لـن يتجاهـلُ دمعـة قـد سـقطت منهـا في ظلمـة ليـل ، ولـن يتنـاسى حزنـاً ولا ألمـاً ولا تعبـاً قـد يشـفع لهـا.

كنـت أعـي بـأن سـبحانه عظيـم حـد أنـه سـيُذكرُ كل كلمـة عظيمـة قـد قالتهـا و كل بـشراً قـد أسـعدته وكل نفـس قـد طمأنتهـا وكل قلـب قـد جعلتـه بسـتاناً بعدمـا كان جفـاف .

كانـت ثقـة مـا بداخـلي تُخـبرني بـأن الرحيـم سـيُجازيها جـمالاً عـلى كل مـا قـد لاقتـهُ في دارِ التزعـزع و العُبـور.

كنـت أعـي بـأن للمـوتِ جـمالاً يكمـنُ خلـف عظيـم اليقـين بمـن قـد رحلـت إليـه.

رحمّ الله روحها وأرواح أمواتنا أجمعين.

# شكر وتقدير.

شكرا ،
لكل من ساهم في نجاح جزءا وان كان بسيطا من هذا الكتاب.
لكل من كان يوما كيمين ذراعي..
و لكل من كانوا دوماً هُنا..

شكراً..
العظيم أبي/ محمد سعيد.
شكراً..
ملهمتي الأولى/صفاء عبدالله.
العظيمة /سعاد عبدالله .
شكرا..
أخت القلب/ تسنيم محمد – ندى محمد
شكراً..
المُبدعة/ ياسمين هيكل- ريم عبدالعزيز.